وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الرؤى والأحلام
في المنظور الصوفي



الأستاذ الدكتور الشيخ
نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني
مؤسس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية



عنوان الكتاب : الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي
المؤلف : الأستاذ الدكتور الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنـــزان الحسيني
الطبعة : الأولى
التاريخ : 1427هـ – 2007 م

الناشر : دار القادري للنشر والتوزيع
سورية – دمشق – حلبوني – ص . ب : 10344
هاتف : 00963 11 2453775
فاكس : 00963 11 5233769
المطبعة : بيروت

مكتب المتابعة والإرشاد في الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية

موقع التصوف الإسلامي
www.islamic-sufism.com

موقع الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية
www.kasnazan.com

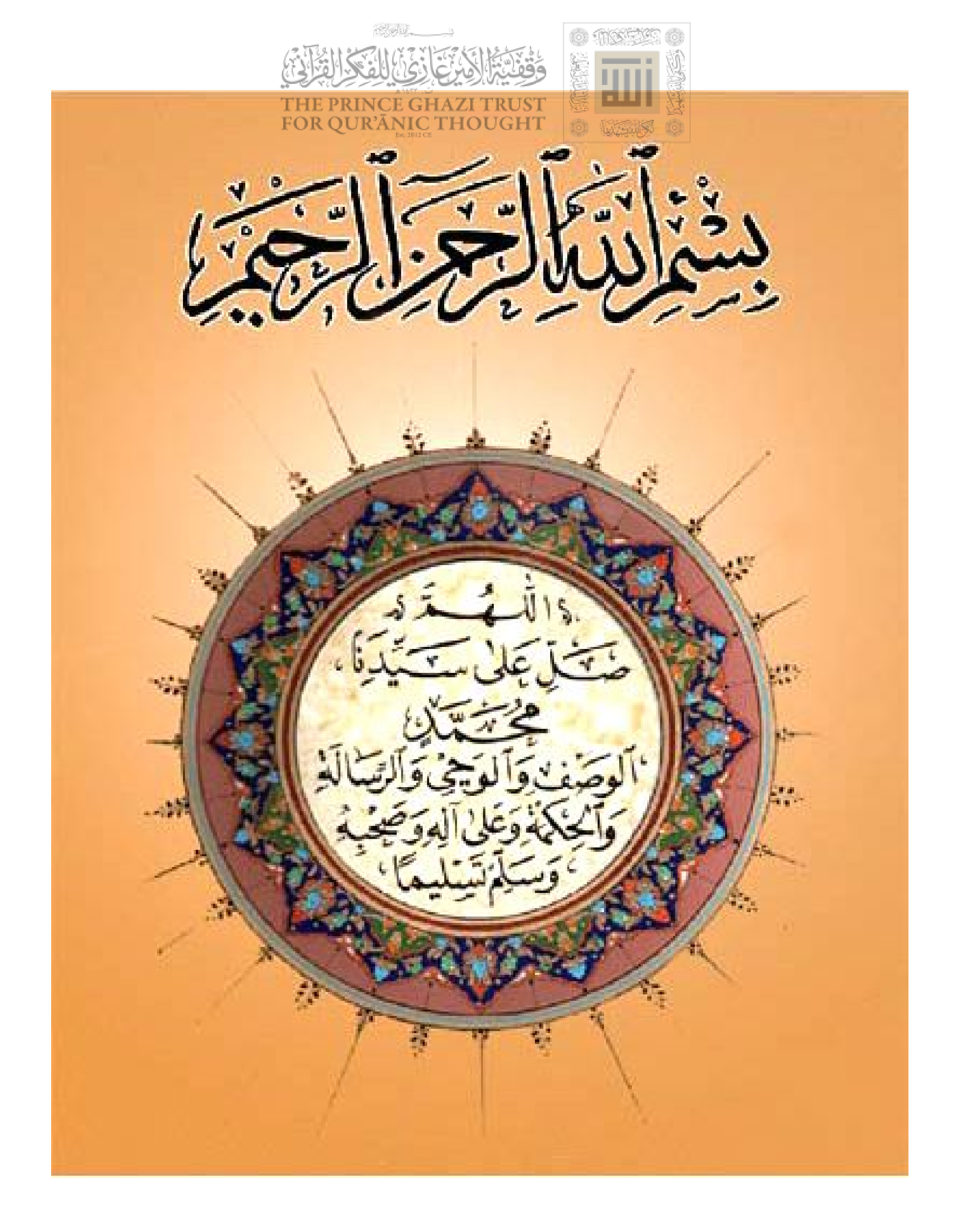
E-mil : kasnazan_web @yahoo.com
E-mil : webmaster@islamic-sufism.com
Phone : 009647703535447



الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي

دراسة حول آراء حضرة السيد الشيخ
محمد الكسنزان الحسيني في علم الأحلام

الأستاذ الدكتور الشيخ
نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني
مؤسس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية


بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم
صل على سيدنا
محمد
الوصف والوحي والرسالة
والحكمة وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما



مقدمة

إن لبني آدم ولَعاً بالغاً وشغفاً ثائراً فيما يتعلق بالأمور الغيبية ، الماضية منها واللاحقة ، والتي يظنون أن لها ارتباطاً وثيقاً باستقرار مستقبلهم من عدمه ، فاشرأبَّت نفوسهم إلى الوقوف على ذلك في مناماتهم من خلال ما يعتريهم من رؤى وأحلام ، ولذا فإن أحدنا قد يلاقي أخاً له أو صديقاً فيراه عبوسا متجهِّما أو فرحا مسرورا ، فيزول عنه العجب حينما يعلم أن سببَ هذا الفرح أو الحزن رؤيا مؤنسة أو أخرى مقلقة . وهذا الأمر ليس قاصراً على أفراد الناس وعامتهم فحسب ، بل يشركهم فيه العظماء والكبراء..

فكم أقضّت الرؤيا عظيماً من مضجعه .

وكم بشَّرت الرؤيا أفرادا بمستقبلهم .

وكم شغلت شعباً كبيرا برمته ، وما رؤيا يوسف ﷺ بغائبة عنا ، ولا رؤيا ملك مصر بخافية علينا ، فقد اجتمع فيها تبشير وتحذير في آن واحد ، إذ بشارتها هي السَّعة عليهم في الرزق سبعَ سنين ، ونذارتها هي في الجدب والقحط سبعًا مثلها.

إن المنامات والرؤى لها أهميتُها الكبرى في واقع الناس ، حتى صارت من الظواهر الملفتة للانتباه في واقعنا ، حيث تعلق كثير من الناس من حيث اعتمادهم عليها، وتوسعهم فيها حتى أصبحت عند البعض شغلهم الشاغل، عبر المجالس والمنتديات والمجامع ، بل والقنوات الفضائية ، وطغت على الفتاوى الشرعية ، وقد أفرط البعض في تعاملهم مع الرؤى والمنامات وأصبح سؤالهم عنها يفوق السؤال

عما يحتاج إليه من أمور دينه الأخرى .

ولهذا فإنه حين يرى احد الناس مناماً تراه يسرع بعد ان يستيقظ إلى مفسر الأحلام لكي يطلعه على ما يخبئ القدر له ، وحين لا يجد المفسر الحاذق لندرته يلجئ إلى كتب الأحلام المتوفرة في الأسواق ، وغالباً يفضل ان يكون اسم ابن سيرين عليها طبعاً .

وهذه الكتب تحتوي عادة على أبواب متنوعة ، فباب في رؤية الله تعالى ، وباب في رؤية الملائكة والأنبياء ، وباب في رؤية الشمس والقمر والنجوم ، وباب في رؤية الأمطار والرعد والبرق ، وباب في رؤية الأشجار والثمار والحبوب ، وباب في رؤية النكاح والنساء ، وباب في رؤية الخيل والبغال والحمير ... الخ .

فإذا رأى المرء في منامه احد هذه الأشياء أو غيرها ، فتح الكتاب وبحث عن الباب الخاص بذلك الشيء ، ولا شك أنه سيجد فيه مرامه ، فهذه التفاسير بارعة بالنصح لما ينبغي ان يفعل او لا يفعل ، فتجد احدهم يترك سفراً مهماً ، او يلغي صفقة تجارية ، أو ربما يرفض زواجاً أكيدا ، اذا رأى في التفسير كلاماً ينذره بالخطر حسب رأي المفسر .

وهذا الأمر ليس بجديد على العالمين الإسلامي والإنساني معاً ، إذ ان التاريخ بشكل عام والإسلامي بشكل خاص يؤكد لنا بأن علم الأحلام وماهيتها كان واحد من العلوم والمعارف التي تبحر فيها الخواص والعوام بهدف منفعة النفس والناس ، فكان هذا العلم كسائر العلوم والفنون محط أنظار جمهرة من المختصين ، وذلك لأنه متعدد النواحي ، فهو متصل بالنفس الإنسانية وقواها ومظاهر حياتها ، ومتصل بالوجود ومراتبه ، ومتصل كذلك بالوحي والإلهام ومظاهر النبوة عامة .



ولهذا كان لهذا البحث قيمته وخطره في الفلسفة وعلم التحليل النفسي والتصوف . لأنه سيحاول ان يناقش اهم مسائل هذا العلم وما يمت له بصلة في محاولة لمعرفة تاريخه وماهيته ومدى صحة ما تتضمنه الكتب (القديمة والحديثة) من تفاسير ؟!

ويحاول تلمس الإجابة عن مدى تحقق تلك التفاسير على أرض الواقع ؟

والأهم من ذلك ، مدى صحة اللجوء إلى مفسر الأحلام أو إلى كتاب التفسير أصلاً ؟!!

ويشرفنا ان نذكر هنا ، ان اهم هدف لنا في هذه الدراسة هو إبراز آراء رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية في العالم ، حضرة السيد الشيخ محمد السيد الشيخ عبد الكريم الكسنـزان الحسيني ، في هذا الموضوع ، والطريقة المثلى لتفسير الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي .

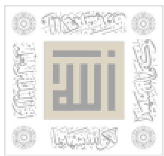
هذا وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة :

الفصل الأول : تناولنا فيه مقدمة سريعة حول علم الأحلام ، واهم مصطلحاتها عند رجال الدين والفلاسفة والمتكلمين .

الفصل الثاني : تناولنا فيه آراء مشايخ الصوفية في هذا العلم من حيث مرتبته ، وأسراره الروحية .

الفصل الثالث : خصص لآراء السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) .

وفي الختام نأمل ان نكون قد وفقنا لما رمينا له ، والله من وراء القصد .

الفصل الأول

المقدمة

في علم الرؤى والأحلام



لمحة عن تاريخ علم الرؤى والأحلام قبل ظهور الإسلام

بداية الرؤى والأحلام [1] كانت مع الإنسان البدائي صاحب التفكير الساذج البسيط ، والذي حيره ان يرى في منامه أشياء ليست قريبة منه أو موجودة عنده . والطريف ان ذلك التفكير البسيط وربما الفطري حمله إلى الاعتقاد بأن ذلك يحصل عنده بسبب تدخل الآلهة أو الشياطين ، ففي نظره ان هؤلاء وحدهم قادرين على فعل الأعاجيب . وهذا التفكير بالطبع هو قريب جداً من النصوص الدينية التي ذكرت في أبواب الرؤى والأحلام عند المسلمين .

وكانت النتيجة ان خلص الإنسان البدائي إلى الاعتقاد بالوظيفة الكبرى للأحلام ودورها في كشف حجاب الغيب [2].

ومن نتائج هذا الاعتقاد ان الإنسان البدائي لم يعد يفرق بين الأفعال الواقعية والأفعال المنامية ، فقد تجد رجلان من البدائيين يتخاصمان خصاماً عنيفاً من جراء حلم رآه أحدهما، والناس يعتبرون ذلك أمراً طبيعياً لا داعي للعجب منه . وكان عرف بعض القبائل البدائية يجيز للرجل أن يتزوج الفتاة إذا رآها في النوم تحته [3] .

ولما دخل الشعوب القديمة مرحلة التمدن البدائي ، كان تقديس الأحلام باعتبارها مصدراً للإلهام احد المكونات العقائدية والفكرية لتلك المجتمعات ،

---

1 – الرؤيا والحُلْم في اللغة والاصطلاح : عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والشيء القبيح ، وما اختلط منها والتبس فهو أضغاث أحلام . (ابن منظور – لسان العرب – مادة حلم – ج12 ص 145) .

2 – Freud Bascic Wirtings.P184

3 – أبو مدين الشافعي – الوهم – ص 34 .

حتى ان البابليين كان لهم إله خاص بالأحلام اسمه (ماخر) ، وكذلك للمصريين القدماء واسم إله أحلامهم (بس) وقد نقشت صورته على الوسائد التي ينام عليها المصريون استجلاباً للحلم السعيد[1] .

وقد أكد ذلك كله القرآن الكريم ، حيث أشار إلى ما أولاه المصريون القدماء للحلم ولتأويل الرؤيا من اهتمام ، لدرجة ان تعبير رؤيا واحدة أوصلت النبي يوسف عليه السلام إلى مركز عزيز مصر .

ولم يختلف الإغريق القدماء عن البابليين والمصريين في شيء من هذه الناحية ، حتى انهم كانوا ينامون في معابد خاصة أعدت لتلقي أنباء الغيب عن طريق الأحلام .

وفي اليونان ، كانت محكمة أثينا العليا تأخذ بما تقرره الرؤيا في إدانة المتهمين أو تبرئتهم .

وكذلك الحال في روما ، والغريب ان مجلس أعيان الرومان كان يأخذ بالرؤيا في أمور الدولة حتى ولو كانت من احد العامة [2] .

ويذكر ان أول كتب ألفت في دراسة الأحلام كانت لشخص اسمه (ارطميدورس) وقد كتب خمسة كتب ترجمت إلى اللغة العربية في العهد العباسي .

---

1 – الأحلام – توفيق الطويل – ص 112 .

2 – المصدر السابق – ص 114 – 115 .

ومجمل النتائج التي توصل لها (ارطميدورس) ان الأحلام ترجع إلى تدخل الآلهة وهي نوعين :

الأول : هو الصريح الذي ينبئ عن الغيب مباشرة .

والثاني : الرمزي المقنع الذي يحتاج إلى تفسير .

وقد وضع المؤلف القواعد لتفسير النوع الثاني ، وقال بان الرموز في الأحلام تستمد جذورها من شخصية الحالم ومن مركزه وظروفه وعادات مجتمعه ، ولهذا على المفسر ان يفهم هذه الأمور فهماً تاماً لكي يكون قادراً على معرفة ما ترمز إليه الأحلام من أنباء الغيب[1] .

والقارئ لكتبه يجد شبهاً غريباً بينها وبين الكتب المنتشرة بين المسلمين في تفسير الأحلام .

إلى هنا تكون النـزعة الدينية او اللاهوتية هي الطاغية على الأحلام من حيث الفهم والتعامل . وقد بدأت مرحلة جديدة لعلم الأحلام عند الفيلسوف أرسطو الذي نحا بهذا العلم منحى مغايراً تماماً ، حيث ذهب إلى ان معظم الأحلام تنشأ من مؤثرات حسية لا علاقة لها بالآلهة ، فكثيراً ما يخالج الإنسان اللذة او الألم في اليقظة وهو لا يشعر به أو ينساه حتى إذا نام ظهر ذلك واضحاً في أحلامه ، وفطن أرسطو إلى أهمية العواطف والرغبات والأمزجة في تشكيل الأحلام ، فالمحب يرى في منامه ما يلائم نزعات هواه ، وكذلك الخائف .

ويتجلى المنحى الموضوعي لفكر أرسطو في تعرضه للرؤيا الصادقة ، فذهب إلى ان تحققها لا يدل على صحة تنبؤها بالغيب أو إلى صلتها بالروح

1- Freud Bascic Wirtings.P82

أو الآلهة ، وإنما يرجع إلى أربعة عوامل : المصادفة ، الإيحاء ، الإحساس المضخم ، والاهتمام الخاص [1] .

ثم جاء التيار الثالث وهم الرواقية [2] الذين ذهبوا إلى الدفاع عن الرؤيا الصادقة ، وان تحققها مقرون بتطهير النفس البشرية ، فالنفس عندهم في حال اليقظة تكون فريسة الشهوات البدنية ، وهي بالنوم تتحرر من هذه الشهوات وبذلك تستطيع التنبؤ واستشفاف الغيب [3] .

ومما تقدم نستطيع ان نلخص الآراء التي قيلت في الأحلام قبل ظهور الإسلام برأيين :

الآراء الاعتقادية : وهي التي تُرجع الأحلام إلى الآلهة والشياطين .

الآراء العقلية : وهي التي تعلل الأحلام تعليلاً عقلياً لا أثر للقوى الغيبية فيه .

ويبدو ان هذه التوجهات استمرت حتى بعد الإسلام ، مع الفارق ، ولكن ما يلفت النظر ان النزعة التي سيطرت على المسلمين في عهودهم المتأخرة هي النزعة الصوفية التي تعترف بقصور العقل عن إدراك العلوم التي تتعلق بالماوراء ، ويبدو ان لصوفية المسلمين بالغ الأثر في هذا التوجه [4] .

---

1 - الأحلام – توفيق الطويل – ص 69.

2 - الرواقية : وهم أتباع زينون الفيلسوف اليوناني لانه كان يعلمهم بالرواق ، وهو مذهب فلسفي اشتهر بآرائه الأخلاقية (المعجم العربي الأساس – المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون - لاروس ، 1989 – ص 562) .

3 - التنبؤ بالغيب – توفيق الطويل – ص 169 .

4 - د. علي الوردي – الأحلام بين العلم والعقيدة – ص 36 .



الأحلام بعد ظهور الإسلام

يمكن ان ينظر إلى الرؤى والأحلام عند المسلمين من خلال أربع محاور:

أولاً : محور عوام المسلمين

تعد الأمة الإسلامية من أكثر الأمم اهتماماً بالأحلام ، وذلك لما أشتمل عليه مصدري التشريع (القرآن الكريم والسنة المطهرة) من نصوص واضحة عنها ، وعلى رأس تلك النصوص نزول سورة قرآنية كاملة هي سورة يوسف ﴿عليه السلام﴾ وقصته التي كانت الرؤيا هي المحور التي دارت حولها الأحداث في آياتها ، حيث كانت البداية من رؤية الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر وما ترتب عليها من ردة فعل أخوة نبي الله يوسف ﴿عليه السلام﴾ معه ، ورؤيا السجينين وما كان من تعبيرهما وتحققهما بالفعل وما نتج عن ذلك التحقيق ، وارتباط ذلك مع رؤيا الفرعون وسبب خلاص نبي الله يوسف ﴿عليه السلام﴾ من السجن بسبب تعبيرها ، بل وتكريمه ورفعه إلى المرتبة التي أدت إلى تحقيق الرؤيا الأولى التي رآها في صغره ، حيث صار عزيزاً لمصر ، ورفع أخوته وأبويه على العرش وخروا له سجدا.

ثم قصة الذبيح إسماعيل ﴿عليه السلام﴾ وكيف فداه الله تعالى بكبش عظيم لأن أباه إبراهيم الخليل ﴿عليه السلام﴾ قد عمل تصديقاً لرؤياه .

وهناك الرؤى التي خص الله تعالى بها حضرة الرسول الأعظم ﷺ وأشار إليها في قوله جل اسمه : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾[1] ، وفي قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾[2] .

---

1 – الفتح : 27.

2 – الإسراء : 60 .

وأما في السنة المطهرة ، فالأحاديث في الرؤى والأحلام عديدة ، وكلها تشير إلى ان الرؤيا وحي صادق من الله تعالى ، ومن أشهر الأحاديث في ذلك هو قوله ﷺ : ﴿ رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة ﴾[1] .

وجاء في حديث آخر ان الصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عنهم) كان قد شق عليهم ان يخبرهم حضرة النبي ﷺ بانقطاع النبوة بعده ، فطمأنهم ﷺ قائلاً : ﴿ بقيت من بعدي المبشرات ﴾[2] ولما سئل النبي ﷺ عن هذه المبشرات ما هي ؟ قال : ﴿ هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴾[3] .

ومما روي أيضاً ان حضرة الرسول ﷺ كان في بعض الأحيان يسأل الصحابة عن رؤاهم ليؤولها لهم بما يراه مناسباً .

وهناك العديد من الأحاديث الدالة على الاهتمام بأمر الرؤى والأحلام ، حتى تولد عند البعض اعتقاد بأن الرؤيا والنبوة ينبعان من منبع واحد ، وزاد آخرين ان الذي يكفر بالرؤيا يكفر بالنبوة[4] وذلك لأن النبي ﷺ نفسه كان قد تلقى الوحي في أول مرة عن طريق الرؤيا الصادقة التي كانت تأتي كفلق الصبح ، كما روت السيدة عائشة (رضي الله عنها)[5].

---

1 – أخرجه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه – كتاب التعبير – رقم الحديث (6473) .

2 – المصدر نفسه – حديث رقم (6475) .

3 – مسند أحمد – ج 46 ص 177– حديث (21631) .

4 – د. علي الوردي – الأحلام بين العلم والعقيدة – ص 36 .

5 – أخرجه البخاري عن عائشة أم المؤمنين – كتاب بدء الوحي – حديث رقم (3) .

ثانياً : محور فلاسفة المسلمين

وهكذا سار جميع أطياف المسلمين على هذا الاعتقاد مع تفاوت في طريقة الفهم والتعامل مع الرؤيا ، فحتى فلاسفة المسلمين والذين تابعوا أرسطو في كثير من آراءه ، خالفوه في موضوع الأحلام ، فلم يأخذوا برأيه فيه ، والرأي عندهم ان النفس تتصل أثناء النوم بالعقل الفعال المسيطر على حركة الأفلاك بما فيها ، وتستشف الغيب عن طريقه .

ثالثاً : محور متكلمي المسلمين

ولم يشذ عن هذا النمط من الاعتقاد بالأحلام من بين المسلمين سوى فرقة المعتزلة المقدسة للعقل ، وذلك لاعتقادهم بان الله تعالى لا يخرج البتة في أوامره ونواهيه عن جادة العقل السليم ، فما لا يمكن للعقل إدراكه لا يمكن ان يأمر الله تعالى به ، ولما كان الإدراك العقلي والنوم عندهم ضدان لا يجتمعان ، فليس في نظرهم للنوم وما يجري فيه أي قيمة أو اعتبار ، وهذا دفعهم إلى تأويل الآيات والاستهزاء بالأحاديث الدالة على الرؤى والأحلام كما يشتهون [1] .

رابعاً : محور صوفية المسلمين

وبخلاف آراء المعتزلة جاءت آراء الصوفية الذين ذهب بعضهم إلى القول بأن العقل مراتب او درجات ، وله في كل مرتبة (النوم واليقظة) دور وإمكانية على التفاعل والتعامل .

---

1 – توفيق الطويل – التنبؤ بالغيب – ص 80 .

ففي عالم اليقظة يكون العقل محصور بحدود المدارك الحسية ، وله علاقة بالمشاعر والأحاسيس النفسية . وأما في عالم النوم فهذا العقل ينطلق من عقال المدارك المحدودة ليستعرض قوى خفية أو إمكانات كانت باطنة في عالم اليقظة ، وفي تلك الحالة يسميه البعض بـ(العقل الباطن) أو (اللا شعور) أو (اللاوعي) أو ما شابه ، بينما يسميه الصوفية (الروح) ، وهذا الروح له ارتباط بملكة تتعامل مع المشاعر والأحاسيس الباطنية تسمى (القلب) مقابل (النفس) التي تتعامل مع الظاهر .

بمعنى انه الفرق بين العقل والقلب والنفس والروح فرق مرتبي وليس نوعي ، فالإنسان يستطيع ان يتعامل مع العالم المحدود بالعقل والنفس ، وهذه الملكات نفسها تستطيع التعامل مع العوالم المطلقة حيث تنفتح قواها الباطنة أو الحقيقية أو الكاملة ووقتها تسمى الروح والقلب [1] .

فإذا نظرت إلى عالم اليقظة بالعقل والنفس قلت بأن عالم النوم أشياء وهمية غير واقعية ، واذا نظرت إلى عالم النوم بالروح والقلب . قلت بأن عالم النوم هو عالم الحقيقة أو الأقرب له ، بينما اليقظة حجاب على ذلك العالم .

والمشكلة تحدث إذا حصل خلط بين هذه القوى والعوالم المتعلقة بها ، فمن نظر إلى عالم النوم بواسطة العقل كما فعل المعتزلة رأى إن ذلك العالم مجرد أوهام لا أصل لها ولا فصل. وبالعكس فإن الناظر إلى عالم اليقظة بمنظار القلب يراه حجاباً كثيفاً على عالم الحقيقة [2] ، فاليقظة هي النوم ﴿ الناس نيام ﴾ والنوم (

---

1 – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج2 ص 415 .

2 – الإمام الغزالي – كيمياء السعادة – ص 14 .

الموت الأصغر) هو اليقظة ﴿ فإذا ماتوا انتبهوا ﴾[1] .

ومعنى هذا انه لا تناقض او تعارض بين العقل والروح أو بين النفس والقلب ، فالكل واحد من حيث الأصل ، ولكن لهذه القوى القدرة على التكيف مع العالم الذي تواجهه، فدورها في عالم اليقظة يختلف عن دورها في عالم النوم . وكذلك دورها في الحالة الاعتيادية يختلف عن دورها في حالات الحضور والكشف الصوفي .

1 - فيض القدير - ج 5 ص 72 - حديث 6433 .

نشأة علم الأحلام في المجتمع الإسلامي

يتضح مما تقدم ان دور الرؤى والأحلام في حياة المسلمين لم يكن هامشياً ، سواءً على المستوى الديني أو الفكري . فقد أصبح علماً قائماً بذاته ومعترفاً به ، حتى ان ابن خلدون خصص لهذا العلم فصلاً في مقدمته اختتمه قائلاً : « هو علم مضيء بنور النبوة للمناسبة التي بينهما كما وقع في الصحيح والله اعلم »[1] .

أن قواعد وأصول وضوابط هذا العلم كانت مختلفة متباينة تبعاً للتوجه أو التيار الذي تبناه ، فما ذكره عنه رجال الدين المستندين إلى ضوابط الشرع كما يقولون غير ما ذكره المتكلمين المستندين إلى قواعد العقل ، وغير ما ذهب إليه الفلاسفة الذين اعتمدوا على قواعد الفكر المنطقي ، وبالتأكيد فان توجه الصوفية كان مغايراً للجميع لاعتماده على المعرفة الكشفية.

وبالطبع فأن الأسهل من بينها هو الأكثر شيوعاً وتداولاً بين عامة الناس وهو النمط الأول الذي اعتمد على المرويات من الأحاديث والقصص والحكايات المروية عن المفسرين التقليديين ، خصوصاً ابن سيرين الذي ذاع صيته بين المسلمين في تفسير الرؤيا حتى لقبه الدكتور علي الوردي بـ (ارطميدورس العرب) ، حيث نسبت إليه كتب عديدة في التعبير ، وإن كان المظنون انها ليست له ، كلها أو بعضها ، فقد مات ابن سيرين عام 108 للهجرة ، ووقتها لم يبدأ الناس بتدوين الكتب على نطاق واسع ، وربما تكون الكتب المنسوبة له قد الفت بعد موته ثم وضع اسمه عليها بغية رواجها بين الناس بعد ان أصبح اسم هذا الرجل

1 - ابن خلدون – المقدمة – ص 487 .

أسطورة ذات صيت عريض ، وأخذوا يعزون إليه الخوارق [1] في تعبير الرؤيا طبعاً .

وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذا العلم عند الناس ، ومسارعتهم للحصول على تعبير لمناماتهم أنى كان المصدر وكيف كان .

ومن هنا أصبح لهذا العلم جملة من الألفاظ والمصطلحات تطلق على مفرداته ، وهي عند عوام الناس مترادفة ، وهناك فروق بسيطة بينها عند أهل الاختصاص ، ومن تلك الألفاظ :

الألفاظ التي تطلق على ما يراه النائم

ورد للرؤيا ألفاظا مترادفة ، منها ما ذكر في كتاب الله تعالى ، ومنها ما ذكر على السنة الناس :

1. **الرؤيا** : ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [2] .
2. **الأحلام** : في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ [3] أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾ [4] . والأحلام ، جمع حُلْم ، وهو ما يراه النائم في المنام [5] .

---

1 – د. علي الوردي – الأحلام بين العلم والعقيدة – ص 44 .
2 – يوسف : 43 .
3 – أضغاث : ملء اليد من الحشيش المختلط ، كما قال تعالى : (خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً) ص :44 .
4 – يوسف : 44 .
5 – المنجد في اللغة والأعلام– ص 150 .

3. **الأحاديث** : في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾[1] . أي ويعلمك تعبير الرؤيا ، لأن أحاديث الناس عن رؤياهم .

4. **الطيف** : وهو من كلام الناس في الرؤيا ومترادفاتها، ومعناه : ما طاف على الرائي طائف ، وهو نائم ، كالصورة الذهنية التي تمر على ذهن الإنسان في حالة اليقظة ، فلا تكاد تلبث إلا وتذهب بسرعة [2] .

الألفاظ التي تطلق على تعبير الرؤيا

ورد لتعبير الرؤيا ألفاظ ، منها :

1. **التفسير** : البيان والكشف ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [3] ، أي : تبياناً وكشفاً ، كما هو المستعمل في لسان العرب ، وفي كتب المفسرين ، وكما في (تفسير الأحلام) للشيخ عبد علي الحائري ، وتفسير الأحلام للشيخ محمد ابن سيرين، وغيرهما.

2. **التأويل** : وهو المنتهى الذي يؤول إليه المعنى [4] ، وهو كما مشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [5] .

---

1 – يوسف : 6 .

2 – الشيخ حسن الأدريساوي – تفسير الرؤيا والأحلام – ص 12 .

3 – الفرقان : 33 .

4 – الطبرسي – مجمع البيان – ج5 ص 210 .

5 – يوسف : 21 .

3. **التعبير** : يقول تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[1] وهو مشتق من عبور النهر ونحوه [2] .

4. **الفتوى** : يقول تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾[3].
أي عبروا ما رأيته في منامي وبينوا فتواه لي فيه ، وهو : حكم الحادثة [4] .

طرق تعبير الرؤيا

وقد ذكروا طرقاً متعددة للتعبير منها : مرة من لفظ الاسم , ومرة من معناه , ومرة من ضده , ومرة من كتاب الله تعالى , ومرة من الحديث , ومرة من المثل السائر والبيت المشهور .

فأما **التأويل بالأسماء** فيحمل على ظاهر اللفظ كرجل يسمى الفضل يتأول أفضالا , ورجل يسمى راشدا يتأوله إرشادا أو رشدا , أو سالما يتأول السلامة , وأشباه هذا كثيرة.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ رأيت ذات ليلة في ما يرى النائم كأنا في دار عقبة ابن رافع فأتينا برطب ابن طاب فأولت أن الرفعة لنا في الدنيا والآخرة وأن ديننا قد طاب ﴾[5] .

فأخذ من رافع الرفعة ، وأخذ طيب الدين من رطب ابن طاب.

---

1 – يوسف : 43 .
2 – الطبرسي – مجمع البيان – ج5 ص 237 .
3 – يوسف : 46 .
4 – الطبرسي – مجمع البيان – ج5 ص238 .
5 – أخرجه مسلم عن انس بن مالك في كتاب الرؤيا – حديث رقم 4215 .

وحكي عن شريك بن أبي شمر قال : رأيت أسناني في النوم وقعت ، فسألت عنها سعيد بن المسيب فقال : أوساءك ذلك ، إن صدقت رؤياك لم يبق من أسنانك أحد إلا مات قبلك فعبرها سعيد باللفظ لا بالأصل, لان الأصل في الأسنان أنها القرابة.

وحكي عن بشر بن أبي العالية قال : سألت محمدا عن رجل رأى كأن فمه سقط كله فقال: هذا رجل قطع قرابته فعبرها محمد بالأصل لا باللفظ .

وحكي عن الأصمعي قال: اشترى رجل أرضا فرأى أن ابن أخيه يمشي فيها فلا يطأ إلا على رأس حية فقال : إن صدقت رؤياه لم يغرس فيها شيء إلا حيي .

وأما **التأويل بالمعنى** فأكثر التأويل عليه كالأترج إن لم يكن مالا وولدا عبر بالنفاق لمخالفة ظاهره .

وأما **التأويل بالمثل السائر** واللفظ المبتذل فكقولهم في الصائغ أنه رجل كذوب لما جرى على ألسنة الناس من قولهم : فلان يصوغ الأحاديث.

وكقولهم فيمن يرى أن في يديه طولا أنه يصنع المعروف لما جرى على ألسنة الناس من قولهم : هو أطول يدا منك وأمد باعا أو أكثر عطاء .

وقال النبي ﷺ لأزواجه رضي الله عنهن :﴿ أسرعكنّ لحوقاً بي أطولكنّ يدا ﴾[1] . فكانت سودة أطولهن يداً ، وكانت أطول بالصدقة ومعاونة المجاهدين وترفدهم .

وكقوله في المرض أنه نفاق لما جرى على ألسنة الناس لمن لا يصح لك وعده : هو مريض في القول والوعد , وقال الله عز وجل:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

1 – أخرجه البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) في كتاب الزكاة – حديث رقم 1331 .



﴿فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾[1] ، أي : نفاقا .

وكقولهم فيمن رمى الناس بالسهام أو البندق ، أو حذفهم أو قذفهم بالحجارة أنه يذكرهم ويغتابهم لما جرى على ألسنة الناس من قولهم : رميت فلانا بالفاحشة , وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾[2]. وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾[3] .

وكقولهم فيمن قطعت أعضاؤه أنه يسافر ويفارق عشيرته أو ولده في البلاد لما جرى على ألسنة الناس من قولهم : تقطعوا في البلاد , والله عز وجل يقول في قوم سبأ : ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[4] ، وقال : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ فِي الأَرْضِ أُمَماً﴾[5] .

وكقولهم في الجراد إنها في بعض الأحوال غوغاء الناس لأن الغوغاء عند العرب الجراد.

وكقولهم في الكبش إنه رجل عزيز منيع لقول الناس : هذا كبش القوم , وكقولهم في الصقر إنه رجل له شجاعة وشوكة لقول الناس: هو صقر من الرجال .

وأما **التأويل بالضد والمقلوب** فكقولهم في البكاء إنه فرح ، وفي الضحك إنه حزن.

وكقولهم في الرجلين : يصطرعان ، والشمس والقمر : يقتتلان إذا كانا في جنس واحد: إن المصروع هو الغالب والصارع هو المغلوب .

---

1 – البقرة : 10 .
2 – النور : 4 .
3 – النور : 6 .
4 – سبأ : 19.
5 – الأعراف : 168 .

وفي الحجامة إنها صك وشرط ,وفي الصك إنه حجامة.

وقولهم في الطاعون إنه حرب وفي الحرب إنه طاعون.

وفي السيل إنه عدو وفي العدو إنه سيل .

وفي أكل التين إنه ندامة وفي الندامة إنه أكل تين .

وفيمن يرى أنه مات ولم يكن لموته هيئة الموت من بكاء أو حفر قبر أو إحضار كفن إنه ينهدم بعض داره .

كما ذكروا للرؤيا أقسام وتصانيف وأنواع شتى ، أشهرها التقسيم المستند إلى أحاديث شريفة تصنف المنامات إلى ثلاثة بحسب مصدرها أو سببها وهي :

1. **الرؤيا** : وهي المبشرات من الله تعالى .
2. **الحلم** : وهو حديث النفس في اليقظة يتمثل في المنام .
3. **أضغاث أحلام** : وهي تخويف من الشيطان [1] .

وتوسعت بعض الكتب بذكر :

- أدلة الرؤيا وكيفية إثبات صحتها وشرعيتها .
- علامة الرؤيا الصادقة .
- شروط المعبر للرؤيا وما الذي ينبغي ان يكون عليه من مؤهلات .
- الأمور التي تساعد المسلم على ان يرى رؤيا صادقة .
- أحكام الكذب والصدق في الرؤيا وتعبيرها ... الخ .

وهكذا تشكلت أركان علم الرؤيا في المجتمع الإسلامي، وتوسعت قاعدته ، ولكن هذا التوسع كان ولا زال مشوب بالتأرجح بين (العقيدة والعلم والخرافة) وذلك لأنه يعد منفذاً لمعرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل ، أو لا اقل من الاستبشار

1 – مسند أحمد – ج 18 ص 308 – حديث رقم 8766 .

أو اخذ الحيطة والحذر حسب نوع الرؤيا وطريقة تفسيرها .

والطوائف الإسلامية في هذا الأمر سواء ، فما ذكره رجال أهل السنة كالملطي وابن حجر لا يختلف عما يذكره رجال الشيعة اختلافاً كبيراً [1] .

والواقع ان الطوائف الإسلامية أصبحت في العهود المتأخرة متشابهة من حيث النمط الفكري الذي يسيطر على عقول أفرادها ، فهم يختلفون في الأشخاص الذين يقدسهم فريق منهم دون فريق ، ولكنهم في الاتجاه العقلي على وتيرة واحدة .

الاستنتاجات

يمكن اعتبار أهم الآراء التي قيلت في علم الأحلام هي :

1. **الآراء الغيبية** : وهي التي تعزو الأحلام إلى الله (والآلهة عند غير الموحدين) والشياطين .
2. **الآراء المادية** : وهي التي تربط الأحلام بالمؤثرات الحسية المحيطة بالإنسان ، ويمكن تسميتها بالآراء الأرسطوطاليسية .
3. **الآراء العقلية** : وهي التي تعتبر الأحلام ضرب من الوهم ، ولا تأثير لها في الحياة من قريب او بعيد .
4. **الآراء الصوفية** : وهي التي تربط الأحلام بما وراء العقل .
5. **نظرية الحافز النفسي** : وخلاصتها كما يرى فرويد ان الحلم ليس سوى (تحقيق رغبة) أو كما تصاغ : « إن الحلم تحقيق مقنع للرغبة المكبوتة أو المضغوطة »[2] .

---

1 – الشيخ المفيد – فصول من كتاب العيون والمحاسن – ص 92 – 93 .

2 – Dalbiez,op.cit.i,p.55

6. **نظرية أحلام الشعوب** : توسع فيها الدكتور علي الوردي حتى عمم الرؤيا فجعل للشعوب رؤيا كما هو الحال للأفراد ، واعتبر كتب مثل كتاب (ألف ليلة وليلة) ما هي إلا محاولة تنفيس للمشاعر المكبوتة لدى الأوساط الشعبية والتي لا تتجاوز آمالها المرأة الجميلة والقصر الفخم والطعام اللذيذ . ولم يكتف بهذا القدر فتوسع ليشمل عقيدة (المنقذ الإلهي) والذي اعتبره ليس سوى حلم راود الشعوب القديمة في بعض مراحل تاريخها ، فالشعوب حين تتألم من ظلم حكامها - ولطالما كانت كذلك - ثم تشعر بالعجز عن إزاحة ذلك الظلم ، تأخذ من دون شعور منها باعتناق عقيدة الإنقاذ الإلهي ، فتتخيل مجيء المخلص [1] .

وبالتأكيد هناك العديد من الآراء والنظريات الحديثة التي قيلت في هذا العلم وحولها ، وتبعاً لكل نظرية أو رأي اختلف نمط التفسير للأحلام ، ويبدو انها جميعاً ، تحوم حول الحمى ، لأن كل منها تناول الموضوع من جانب معين هو محور اختصاصه الفكري أو الاعتقادي .

ونحن إذ تطرقنا إلى هذه الآراء لم يكن قصدنا منها استعراضها على سبيل الحصر والمناقشة أو النقد ، بل أردنا ان نعرض لشيء من خلفية هذا العلم ليُرى كيف تخالف الناس فيه واختلفوا ، لما له من أهمية في حياة عامهم وعالمهم .

ولما كان اهتمامنا بالجانب الصوفي فقد خصصنا الفصل التالي لبحث الموضوع بالتفصيل من وجهة نظر الصوفية وآراءهم بهذا العلم .

---

1 – د . علي الوردي – الأحلام بين العقيدة والعلم – ص 80 - 81 .




الفصل الثاني

الصوفية وعلم الرؤيا

العلوم عند الصوفية

يرى الصوفية ان العلوم على ثلاث مراتب :

علم العقل : هو كل علم يحصل بالضرورة ، كإدراكنا بان الكل أعظم من الجزء بلا حاجة إلى برهان ، وهو أيضاً كل علم يحصل بعد النظر في الأدلة والبراهين ، ومنه ما هو صحيح ومنه ما هو فاسد .

علم الأحوال : ولا سبيل له إلا بالذوق ، فلا يقدر عاقل على ان يحدها أو يعرفها بالدليل ، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر .

علوم الأسرار : وهو العلم الذي فوق طور العقل ، وهو علم النفث في الروع من روح القدس ، يختص به الأنبياء والأولياء . والعالم بهذا العلم ، يعلم العلوم كلها ، ويستغرقها [1] .

وقد صنف علم الرؤى والأحلام ضمن الصنف الثالث عند الصوفية ، فهو بالنسبة لهم من جملة علوم الأسرار التي يطلعهم الله تعالى عليها كشفاً أو إلهاماً كجزء من وراثة النبوة .

الرؤى .. ووراثة النبوة

إطلاع الصوفية على أسرار الرؤى والأحلام من جملة ما ورثوه عن النبي ﷺ من العلوم ، هذه الوراثة المشار إليها بقوله ﷺ : ﴿ **العلماء ورثة الأنبياء** ﴾[2] .

---

1 – ابن عربي – الفتوحات المكية – ج1 ص 69 .

2 – رواه الترمذي في سننه عن أبي الدرداء ، – كتاب العلم من رسول الله ، حديث رقم (2606) .

والعلماء هنا هم من يرثون علم الرسول ﷺ وحاله وعلم (العبارة) عما وجدوه من الله تعالى في كشفهم[1] .

وعن هذه المرتبة يقول الشيخ الأكبر ابن عربي (قدس الله سره) : فاعبد ربك ـ المنعوت في الشرع ـ حتى يأتيك اليقين ، فينكشف الغطاء ، ويحتد البصر ، فترى ما رأى النبي ﷺ ، وتسمع ما سمع ﷺ ، فتلحق به ﷺ ، في درجته من غير نبوة تشريع (رسالة) ، بل وراثة محققة لنفس مصدقة متتبعة [2] . فإنه لا يرث احد نبياً على الكمال ، اذ لو ورثه على الكمال، لكان رسولاً مثله ، او نبي شريعة [3] .

ويعد الصوفية مرتبة الوراثة للنبوة من أعظم المراتب التي خصت بها الأمة المحمدية تكريماً لرسولها الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، وبفضل مرتبته تشرفت الأمة بقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4] ومن هذه الخيرية أنه في زمان انقطاع الرسالة يكون الكامل وارثاً [5] .

ومن جملة هذه الوراثة ، وراثتهم للرؤى الصادقة وحقائق تفسيرها أو تأويلها ، فذلك كما يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني (قُدِس سره) من معاني النبوة الموروثة الباقية إلى يوم القيامة ، لأن « العلماء بالله ، هم الأولياء ، ولهم من الله الإلهام لا الوحي ، يستلهمونه أبداً في حال نومهم وفي حال يقظتهم »[6] والمراد

1 - ابن عربي – الفتوحات المكية – ج2 ص 322.
2 - المصدر نفسه – ج 3 ص 311 .
3 - المصدر نفسه – ج 2 ص 80 .
4 - آل عمران : 110 .
5 - ابن عربي – الفتوحات والمكية – ج 3 ص270 .
6 - الشيخ عبد القادر الكيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص 124 .

بالاستلهام في حال النوم هو الرؤيا الصادقة ، التي اخبر عنها حضرة الرسول ﷺ بأنها جزء من ست وأربعين جزء من النبوة ، وهي التي كانت أول ما بُدِىء به رسول الله ﷺ من الوحي « فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح »[1] كما جاء في الحديث المروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

ولهذا وفي هذا السياق يحدثنا الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) عن احد الصالحين من أهل الله وكيف كان يتكلف النوم في بعض الليالي ويتهيأ له من غير حاجة إليه ، فسئل عن ذلك فقال : « يرى قلبي ربي عز وجل » .

وقد علق الشيخ عبد القادر الكيلاني على مثل هذه الحالة قائلاً : « صدق في قوله لأن المنام الصادق وحي من الله عز وجل ، كانت قوة عينه في نومه »[2] .

والمقصود بالوحي هنا هو الاستلهام في المنام أو التبشير بالرؤيا ، وهو المشار اليه في حديث يتردد كثيراً عند الصوفية، مروي عن ابي هريرة ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة ﴾[3] .

إذاً ، يعد الصوفية الرؤيا الصادقة وعلم تأويلها ، من جملة علوم النبوة الروحية التي يرثها الأولياء والصالحين حسب مراتبهم ودرجاتهم عند الله تعالى ، وهو ما يعني انه من علوم (خاصة الخاصة) وليس من المتيسر على العوام ، بل وحتى بعض الخاصة من المريدين وغيرهم ، الخوض في حقائقه ودقائقه ، إذ كل ما يقوله غيرهم ليس سوى حديث يدور حول ظاهر هذا العلم

1 – عبد الغني النابلسي – تعطير الأنام في تعبير المنام – ج1 ص 3.

2 – الشيخ عبد القادر الكيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص 206 .

3 – أخرجه البخاري عن ابي هريرة في كتاب التعبير – حديث رقم 6475 .

أو رسمه ليس إلا ، وقد يقترب من الحقيقة وقد يبتعد عنها ، ولكنه في كل الأحوال ليس مستمداً من مشكاة النبوة ، بل من مشكاة العقل أو النظر الفكري .

الرؤيا والعوالم

رأينا في الفصل الأول من ربط الرؤيا بالحافز الحسي ، وهو ما يحيط بالشخص من أشياء ومؤثرات ، ورأينا مَنْ ربطها بالحافز النفسي ، وهو ما يدور في داخل النفس من مشاعر مكبوتة وضغوط نفسية ، كما رأينا مَنْ ربطها بالعقل والمدركات الفكرية ، وهناك طبعاً مَنْ ربطها بالشرع وما ورد في السنة .

بيد إننا اطّلعنا أيضاً على رأي الصوفية الذين ربطوا فيه الرؤيا بما وراء ذلك كله ، أو لنقل بما فوقه ، والمقصود هو ان مجال الرؤيا من حيث المنشأ والتأثير هو أوسع من جميع ما ذكر سابقاً ، ذلك لأنها تنبع عندهم من مرتبة وجودية ومعرفية تستوعب كل ما قيل من نظريات وتتجاوزها .

ويمكن القول ، ان اخص من تكلم عن حقائق هذا العلم عند الصوفية هو الشيخ الأكبر ابن عربي (قدس الله سره) ، حتى انه خصص الباب الثامن والثمانون ومائة في (معرفة مقام الرؤيا والمبشرات) في كتابه الفتوحات المكية ، وسوف نعرض إلى فقرات سريعة من حقائق هذا العلم عند الشيخ الأكبر .

يرى ابن عربي العوالم الرئيسية ثلاثة : عالم الغيب وعالم الشهادة ، ويتوسط بينهما عالم ثالث هو عالم البرزخ او الخيال .

وعالم الخيال كما يقول ابن عربي : « كالحال الفاصل بين الوجود والعدم ، فهو لا موجود ولا معدوم ، فإن نسبته إلى الوجود فيه منه رائحة لكونه ثابتاً ،

وان نسبته إلى العدم صدقت لأنه لا وجود له »[1] .

ومعنى ذلك انك اذا تخيلت مثلاً صورة جبل ، فهذه الصورة الخيالية ، لا هي معدومة لأنك تراها في بالك ، ولا هي موجودة لأنها مجرد صورة لا حقيقة حسية لها حال التخيل الا في الذهن ، ولهذا فإن هذه الصورة الخيالية حالة وسطية بين الوجود والعدم ، لها وجه لكل منهما .

وعلى منوال هذا المثال القائم في الخيال الإنساني ، يرى ان في الوجود هناك مرتبة خيالية عظمى تتوسط عالم الغيب الذي يدرك بالبصيرة وعالم الشهادة الذي يدرك بالبصر ، وفي هذا العالم الخيالي الواسع تتجسد المعاني للرائي ، أي ان المعاني تكتسي بحلة الصور ، أو كما يعبر ابن عربي : « تظهر المعاني في القوالب المحسوسة كالعلم في صورة اللبن ، والثبات في الدين في صورة القيد ، والإسلام في صورة العمد ، والإيمان في صورة العروة »[2] .

والمتأمل هنا يجد ان الإيمان مثلاً من عالم المعاني (لا صورة له في الأصل) والعروة من عالم الحس ، والحضرة التي جمعت بينهما هي حضرة الخيال . وهي قوة أودعها الله تعالى في الإنسان ، وهي أشبه بالخزانة كما يشبهها ابن عربي ، حيث تجتمع فيها كل أحاسيس الإنسان ومعارفه وما شهد من تجارب في عالمه ، عالم الحس والشهادة ، وهذا الوصف يذكرنا بنظرية الحافز الحسي ونظرية الحافز النفسي ، اللذان فيما يبدو قد اجتمعتا في مرتبة الخيال .

---

1 – مجلة المورد – المجلد العشرون – العدد الثاني – ص 32 .

2 – المصدر نفسه – ص 32 .

يقول ابن عربي في كتابه (التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية) : « وفي خزانة الخيال ، تخزن جبايات المبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها ... ومن تلك الخزانة تكون المرائي والأحلام التي يراها النائم »[1] .

الخيال .. ورؤيا المحال

من خصائص القوة المتخيلة عند الإنسان ، قبول المحال ، فبإمكانه تخيل وجود ما ليس له حقيقة ، فيقع في عالم الخيال ما يعتبر وجوده من المحال في عالم الحس والشهادة ، مثال ذلك ان الإنسان يمكنه ان يتخيل بهذه القوة جملاً على رأس نخلة ، أو طائر له أربع قوائم ، أو فرساً له جناحان ، أو حمار له رأس إنسان ، وما شاكل هذه [2] .

ولكن الشيخ ابن عربي حين يتحدث عن وجود المحال في عالم الخيال انما يذهب إلى ان الحق سبحانه وهو الوجود المطلق الذي لا يقبل الصورة ، قد يظهر في رؤيا الصوفي في منامه (تجلي الحق للنائم) وقد يظهر في رؤيا الصوفي كشفاً في حال يقظته .

ويثار هنا تساؤل : كيف يمكن لأحد ان يزعم انه يرى الله ، وهو سبحانه وجود مطلق ، غير قابل للتصور والتخيل ، وغير قابل للتحديد ؟

هنا نلمس الربط بين البعدين السيكولوجي والميتافيزيقي في فكر الشيخ

---

1 – ابن عربي – التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية – 145 .

2 – مجلة المورد – المجلد العشرون – العدد الثاني – 1992 .

الأكبر ابن عربي ، وذلك حين يجيب عن هذا التساؤل بان الله سبحانه وتعالى لا يظهر للإنسان إلا بصورة معتقده ، يقول ابن عربي : « ... فإله المعتقد تأخذه الحدود ، وهو الإله الذي وسعه قلب عبده ، فإن الإله المطلق لا يسعه شيء »[1] .

الرؤيا والإسراء الروحي

ومن قبيل الرؤيا عند الصوفية ، ما تحدث عنه بعضهم بشأن الإسراء الروحي ، حيث يذهبون إلى ان أولياء الله يسرى بأرواحهم في آفاق الأرض والسماء فيشاهدون في هذا الإسراء صوراً تمثل معاني مجسدة فيستلهمون منها ما شاء الله لهم ان يستلهموا من المعرفة والحكمة .

يقول ابن عربي : « ... وأما الأولياء فلهم اسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معان متجسدة في صور محسوسة للخيال ، يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني »[2] .

وقد بين لنا ابن عربي في كتابه (الاسرا إلى المقام الأسرى) وفصل في كتابه الفتوحات المكية كيف تراءت له رؤى اسري فيها بروحه ، وعرج بها من مكان إلى مكان ، وما شهده في اسراءاته من صور برزخيات ومعان متجسدات وكيف رأى ما يرى النائم انه نزل عند بعض الأنبياء فرحبوا به وأكرموه ، وحاورهم وحاوروه ، واستفسر منهم فأفادوه .

1 – فصوص الحكم – الشيخ الأكبر ابن عربي –ص 226 .

2 – مجلة المورد – المجلد العشرون – العدد الثاني – ص 36 .

يظهر لنا مما تقدم ومما هو معروف أيضاً ان الرؤيا هي ما يراه النائم أثناء نومه ، ولكن للصوفية رأي آخر في هذا الشأن . فعالم الرؤيا عندهم غير محصور بحالة النوم فقط ، بل بالنوم واليقظة معاً ، وذلك لمن وصل منهم إلى مرتبة تسمى مرتبة اليقظة . وهذه المرتبة يكون فيها العبد في حضور دائم مع الله ، أي لا يغفل أو يسهو طرفة عين عن الله تعالى ، الأمر الذي يعني ان ليله كنهاره ، ويقظته كمنامه ، ورؤياه كرؤيته [1] ...

يصف حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) أصحاب هذه المرتبة قائلاً : « أهل اليقظة رأوا الله عز وجل بقلوبهم فاجتمع شتاتها .. تتساقط الحجب بينهم وبينه ، محيت المباني وبقيت المعاني ... فلم يبق لهم سوى الحق عز وجل »[2] .

ويقول عنهم في موضع آخر من كتابه الفتح الرباني :

«... يرونه يقظة ومناماً بأعين قلوبهم وصفاء أسرارهم ودوام يقظتهم »[3] .

وقد حكي عن الشيخ الجنيد البغدادي (قدس الله سره) أنه قال : « أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة ، والناس يظنون أني أكلمهم »[4]، ويعلق الإمام الغزالي على كلام الشيخ الجنيد هذا قائلاً : « وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقاً لا يبقى لغيره فيه متسع »[5] .

---

1 – الرؤيا – كما يقول أهل اللغة – ما رأيته في منامك ، أما الرؤية فهي النظر بالعين او القلب (ابن منظور – لسان العرب – مادة رأي – ج 14 ص 291) .

2 – الشيخ عبد القادر الكيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص 187 .

3 – المصدر نفسه – ص 182 .

4 – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج2 ص 68 .

5 – المصدر نفسه – ج2 ص 227 .

ومعنى ذلك ان هناك فرقاً بين رؤيا العوام ورؤيا الخواص ، وهذا الفرق راجع فيما يرى الشيخ ابن عربي إلى قوة الخيال ، فأهل العموم لا تعرف حضرة الخيال إلا رؤيا في المنام ، أما الخواص من أهل الله فيرونها في حال اليقظة كما يرونها في حال النوم بلا فرق ، يقول ابن عربي : « العامة لا تعرفها ولا تدخلها [يريد حضرة الخيال] إلا إذا نامت ورجعت القوى الحساسة إليها ، والخواص [من أهل الله] يرون ذلك في اليقظة لقوة التحقق بها »[1] .

والحقيقة ان باب الرؤيا واسع جداً عند الصوفية ، وفروعه كثيرة ، فهناك التجلي الذي يعد ضرباً من ضروب الرؤيا وأقسامه لا تحصر ، وهناك الشهود ، وهناك مسألة الرؤية وفرقها عن الرؤيا ، وهناك غير ذلك ، وجميعه يكشف لنا مدى عمق هذا العلم وخلفيته الروحية عند الصوفية ، خاصة وهو من العلوم البرزخية الرابطة بين الغيب والشهادة .

تلازم الرؤيا بين النوم واليقظة

هناك أمر بالغ الأهمية في الفهم الصوفي سبق الإشارة إليه ، وهو مسألة التلازم بين الرؤيا في النوم والرؤية في اليقظة ، وقد تجلى هذا التلازم بأبهى صوره عند الصوفية في مسألة رؤية حضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ في النوم ، وتلازمها مع رؤيته في اليقظة ، وهذا التلازم جاء استناداً إلى جملة أحاديث نبوية شريفة بهذا الشأن ، ومنها قوله ﷺ : ﴿ من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ﴾[2] .

1- مجلة المورد – المجلد العشرون – العدد الثاني – ص 34 .

2 – أخرجه البخاري عن أبو هريرة في كتاب التعبير – حديث رقم 6478 .

من فوائد الرؤيا عند الصوفية

تتجلى فوائد الرؤيا عند الصوفية في كونهم يستبشرون بمناماتهم الصادقة ويرونها إلهاماً إلهياً ، وإلقاءً ربانياً ، فهي تارةً أمراً ، وتارةً زجراً ، وتارةً تحذيراً وتنبيهاً ، وتارةً إرشاداً وتوجيهاً وحكايات الصوفية وأخبارهم عن مثل هذه المنامات لا يبلغها الحصر ، سنذكر شيء منها على سبيل المثال :

معرفة الطريق إلى الله تعالى :

روي عن ابي يزيد البسطامي أنه قال : « رأيت ربي عز وجل في المنام ، فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال »[1] .

معرفة جوانب من السلوك الصوفي :

قال النباجي : « تشهيت يوماً شيئاً ، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول : أيجمل بالحر المريد ان يتذلل للعبيد ، وهو يجد من مولاه ما يريد »[2] .

معرفة حال العبد في الآخرة :

من رؤى الصوفية المتعلقة بأمواتهم أنها تكشف لهم عن حال صالحيهم في ذلك العالم الآخر ، كما انها تكشف ضمناً عن أمور ذلك العالم ، وكأن شيوخهم حتى بعد انتقالهم إلى الدار الأخرى لا يتوقفون عن الإرشاد والتربية ومن ذلك

---

1 - الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص 369 .

2 - المصدر نفسه – ص 371 .

ما روي أن الشيخ سفيان الثوري رؤي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك؟

فقال : رحمني .

فقيل : ما حال عبد الله ابن المبارك ؟

فقال : هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين[1] .

ويمكن ان يستفاد من هذه الرؤيا أمور :

1. ان السيرة التي كان الشيخ سفيان الثوري يحيا بها أوصلته إلى رحمة الله تعالى ، وكأن هذه الرؤيا كتاب تزكية لمنهجه الصوفي .

2. ان هناك ولوج على الله تعالى ربما يكون مرتين وربما أكثر أو اقل .

الأمر بصالح الأعمال :

حكي عن الشيخ الجنيد البغدادي (قدس سره) أنه كان أول أمره يؤثر الاعتزال عن الناس ، ويمنع نفسه من الكلام بينهم في أمور الشريعة والحقيقة « حتى رأى رسول الله ﷺ وهو يقول : يا جنيد تكلم على الناس فإنه قد آن لك ان تتكلم الآن »[2] .

وحكي عن ممشاد الدينوري أنه قال : « رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت : يا رسول الله ، هل تنكر من هذا السماع شيئاً ؟

فقال : ما أنكر منه شيئاً ، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن »[3] .

---

1 - المصدر السابق – ص 369 .

2 - الشيخ عبد القادر الكيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص 288 .

3 - الإمام الغزالي – أحياء علوم الدين – ج2 ص 270 .

الموعظة :

بعض الرؤى تتعلق بالموعظة ، وهي أمر بالغ الأهمية عند الصوفية ، لأنها تنبه العبد على معرفة أمور من نفسه لم يكن يعرفها سابقاً ، وحين تأتي في الرؤيا ، فإنها تنبه على أمور معينة ومقصودة عند الرائي ، ومن ذلك ما روي عن الشيخ بشر بن حارث الحافي أنه قال : (رأيت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) في المنام ، فقلت : عظني ، فقال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى، فقلت : يا أمير المؤمنين زدني فقال :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتاً)[1] .

التنبؤ ببعض الأحداث :

« قال بعضهم : رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً وملائكة صعوداً وملائكة نزولاً .

فقلت : أية ليلة هذه ؟

فقالوا : هذه ليلة مات فيها داوود الطائي »[2] .

---

1 – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص 369 .

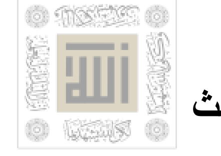
2 – المصدر السابق – ص 372 .

الرؤيا واكتساب بعض العلوم:

ويبدو ان دور الرؤيا عند مشايخ الصوفية أو كبارهم لم تتوقف عند حدود الإشارة أو التنبيه أو ما شابه ، بل تسامت إلى درجة ان أصبحت مصدراً دقيقاً من مصادر العلوم عند الصوفية ، حتى ان الشيخ الأكبر ابن عربي اخبرنا في مقدمة كتابه (فصوص الحكم) وهو من أهم مؤلفاته وأبعدها غوراً في الفكر الصوفي قديماً وحديثاً ، انه رأى في المنام حضرة الرسول الأعظم ﷺ في العشرة الآخرة من محرم سنة (627 هـ) في دمشق وبيده كتاب فقال له ﷺ : « (هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به) ، فقلت : السمع والطاعة لله ورسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا ، فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان »[1] .

وحكايات الصوفية عن رؤياهم كما نلاحظ كثيرة لا يسعنا حصرها هنا - وربما نفرد لها كتاباً خاصاً بها إن شاء الله تعالى - وهي متعددة الجوانب والأغراض ، ولكن غالبيتها تدور حول السلوك في طريق الحقيقة .

1 - ابن عربي – فصوص الحكم – ج1 ص 47 .





آراء
حضـرة الشيـخ محمد الكسنـزان
في الرؤى والأحلام وطرق تأويلها



بعد ان اطلعنا في الفصل الأول على مقدمة بسيطة حول تاريخ الأحلام وأثرها في معتقدات المسلمين ، والقينا نظرة سريعة على اختلاف النظريات التي قيلت فيها ، ورأينا في الفصل الثاني موقف الصوفية من الرؤيا وآرائهم بها ، نعرض في هذا الفصل إلى آراء رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية حضرة السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) حول الرؤيا ، وقد ركزّنا فيه إلى ناحية تفسير الأحلام وآراء الشيخ فيها لكونها المسألة الأهم عند جميع المهتمين بهذا الموضوع من الخواص والعوام .

الأحلام .. هل يصدق بها أم لا ؟!

يرى الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) ان الرؤيا بحسب رائيها ، فمن كان بمرتبة العصمة من الأنبياء والمرسلين أو الحفظ الإلهي من المشايخ الكاملين والأولياء والصالحين ، فرؤاهم صادقة ، ويمكن اعتبارها مصدر من مصادر المعرفة عند الصوفية ، لأن الله سبحانه وتعالى كما تولى ظاهرهم بالعصمة أو الحفظ تولى باطنهم ، وإلا فما معنى ولايتهم ، وكيف أصبحوا أولياء إن لم يحفظ الله تعالى ظاهرهم وباطنهم ؟! .

الولي - كما يقول القشيري - هو الذي يتولى الله سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي ، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة ، قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[1] ، أي

1 - الأعراف : 196 .

ان الولي ليس معصوماً كالرسل والأنبياء وإنما محفوظ من الآفات والزلات[1] .

ويرى الجرجاني الرأي نفسه ويضيف إلى ذلك ان الولاية هي « قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه »[2] .

فمن كانت هذه أحوالهم ، وهم بهذه المرتبة ، لا يُشك في مصداقية رؤاهم وما تنطوي عليه من الخير والصلاح والمعرفة والتي يمكن الاعتماد عليها لأنها قطعاً ضمن حدود الشريعة الإسلامية وأحكامها .

هذا فيما يتعلق برؤيا المعصومين من الأنبياء والمرسلين ، وبرؤيا المحفوظين من المشايخ والأولياء والصالحين . وأما فيما يتعلق بعامة الصوفية من المريدين أو عوام الناس ، فإن الشيخ محمد الكسنـزان يرى في رؤاهم أنها ليست جميعها صادقة بالضرورة ، فبعضها يصح ، وبعضها لا . وابلغ ما يمكن ان يعبر عن رأي الشيخ محمد (قدس الله سره) هنا ، هو ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) من أنه قال : « ما زال الإنسان يرى الشيء فيكون ، ويرى الشيء فلا يكون »[3] . أي قد تصح أحلام الإنسان وقد لا تصح ، وذلك يعتمد على عدد كبير من المؤثرات داخل النفس الإنسانية وخارجها .

وبشكل عام ، يخلص الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) إلى القول بأنه لا يمكن لغير المعصومين والمحفوظين الاعتماد على الرؤيا مائة بالمائة ، لأن صادق الأحلام ممزوج بكاذبها ، إذ لو كانت جميع الأحلام صادقة لكان الناس كلهم أنبياء ، ولو كانت كلها كاذبة لانتفت المنفعة . فالأحلام تصدق أحياناً

---

1 – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص 359.

2 – تعريفات الجرجاني – ص 227 .

3 – محمد رضا عبد الأمير الأنصاري – تفسير الأحلام الكبير لأبن سيرين – ص 5 .

فينتفع بها الناس في مصالح يهتدون بها أو مضار يتحذرون منها . وتكذب كثيراً ، لئلا يعتمد عليها في كل شيء .

الأحلام .. هل يعمل بها أم لا ..؟!

بعض الرؤى تتضمن رؤية حضرة الرسول الأعظم ﷺ ، وبعضها تتضمن رؤية الأئمة الأطهار أو المشايخ الكاملين أو الأولياء والصالحين سواء بذواتهم الشريفة التي كانوا عليها في الدنيا ، او بمعاني روحانية دالة عليهم ، وبعض الرؤى تسمع فيها الهواتف والنداءات ، وفي جميعها تكون هناك أوامر او نواهي، فهل يعمل بها أم لا ؟ .

يرى الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) ان رؤى المشايخ والأولياء ، هي رؤىً صادقة بإذن الله تعالى ، لأنهم محفوظون من خطرات الشيطان ووساوس النفوس ، وما يؤمرون به أو ينهون عنه ، يأتي معه الإدراك بمعناه ، فأما يعمل به على ما رآه ، أو يعلم تأويله على الوجه الصحيح ، فيعمل به أيضا على ما علم منه ، وفي كل الأحوال ، فإن رؤى المحفوظين لا تأتي إلا مطابقة للشريعة السمحة بوجه من الوجوه ، وذلك لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ من رآني في المنام فسيراني في اليقظة لأن الشيطان لا يتمثل بي ومن تبعني ﴾ [1] ، وهو نص شريف علق عليه حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) في (سر الأسرار) قائلا :

---

1 - صحيح البخاري - حديث 6592 ، جامع الترمذي - حديث 2276 .

ان عدم تمثل الشيطان بصورة النبي ﷺ ليس للاختصاص بل هو لا يتمثل بكل ما هو مظهر الرحمة واللطف والهداية كالأولياء ، لأنهم تابعوا رسول الله ﷺ بنور عمل الشريعة والطريقة والمعرفة ، وبنور الحقيقة والبصيرة [1] .

والشواهد الصوفية على هذه المسألة كثير ، ومنها :

ما ذكره الشيخ ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية حيث قال : « ولقد رأيته سبحانه وتعالى في النوم فقال لي : وكّلني في أمورك فوكّلته ، فما رأيت إلا عصمة محضة ، لله الحمد على ذلك »[2] .

ومنها ما سبق الإشارة إليه من تأليف الشيخ ابن عربي لكتابه (فصوص الحكم) بأمر تلقاه من حضرة الرسول الأعظم ﷺ في رؤيا رآها ، وكذلك ما ذكره عن كتابه الفتوحات المكية من أنه ما ذكر فيه شيء بدون إذن إلهي .

ولكن هل ينطبق ذلك على المريدين إذا رأوا مشايخهم وعامة الناس إذا رأوا شيئاً من ذلك ؟

يرى الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) ، أنه ما دام المرء غير معصوم ولا محفوظ سواء أكان مريداً في الطريقة أو من عامة الناس ، فعليه ان يتأنى في العمل بما يرى ، وان يعرض الأمر والنهي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومنهجه في الطريقة - ان كان سالكاً - فإن لم يتعارض مع الثوابت الشرعية عنده ، فلا بأس عليه إن عمل به ، بل ويثاب أحيانا على عمله والا فلا .

يروي السيد الشيخ موسى ابن السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) عن والده انه قال : « خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً فاشتد بي العطش فظللتني سحابة ، ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى

---

1 - الشيخ عبد القادر الكيلاني – سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج اليه الأبرار – تحقيق احمد فريد المزيدي – ص 53 .

2 - ابن عربي – الفتوحات المكية – ج2 ص 264 .

فترويت به ، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق ، وبدت صورة ، ونوديت منه : يا عبد القادر ، أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات ...

فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إخسأ يا لعين ، وإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان .

ثم قال : يا عبد القادر ، نجوت مني بعلمك ، وبحكم ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق .

فقلت : لربي الفضل والمنة .

فقيل له : كيف علمت انه الشيطان ؟

فقال : بقوله ، أحللت لك المحرمات ، فعلمت أن الله لا يأمر بالفحشاء »[1] .

وتعد هذه الحادثة ، وهذا التصرف من الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) ابلغ درس للمريدين ، ليس فيما يتعلق برؤاهم في المنامات فحسب ، بل في كل أحوالهم وحالاتهم ، والتي لا ينبغي ان تكون خارج إطار الشريعة .

وهنا مسألة جديرة بالذكر ، يشير إليها الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) وهي ان المريد إذا رأى صورة شيخه أو احد الصالحين وفيها شيء من نقص ، فهذا النقص راجع إلى حال المريد ، لأن المؤمن مرآة المؤمن ، وإذا كان في المريد نقص قد يراه في صورة شيخه ، فينبغي التنبه لذلك .

1 - الشيخ التادفي الحنبلي – قلائد الجواهر – ص 20-21 .

يرى الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) بأن تفسير ابن سيرين أو غيره من تفاسير الرؤيا - إن صحت نسبتها لأصحابها - هي غير صالحة لهذا الزمان ، بل هي غير صالحة إلا لزمانهم ، وربما لا تصلح إلا للمفسر نفسه فقط .

وذلك لان الأمور التي يتوقف عليها تأويل الرؤيا والكثرة بمكان بحيث يصعب على المفسر التقليدي الإحاطة بها والإلمام بتفاصيلها وهي أمور يعدها حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس سره) ضرورية بل مقدمات لازمة للمفسر اذا أراد ان يضطلع بهذا الأمر ، فإن لم تتوفر معرفة تلك الأمور عند المفسر ، لم يعد للتفسير معنى سواء أكان مسموعاً أم مطبوعاً . ومن هذه الأمور :

1. **الدين والعقيدة** : كانت ولا زالت الأديان والمعتقدات تشكل الخلفية الرئيسية لعلم الأحلام ، فجوهر الدين وصبغة العقيدة من حيث التشدد أو الاعتدال له صبغته الخاصة وأثره القوي في تشكيل وصياغة علم الأحلام .

أي ان رؤى المسلمين ليست كرؤى غيرهم ، ورؤى أصحاب المعتقدات المتشددة أو المتطرفة ليست كرؤئ أصحاب الاعتدال ، وكذلك ليست رؤى العلماء كرؤى العوام ، وليست رؤى طلاب العلوم المذهبية الفقهية كرؤى مريدي الطرق الصوفية ، وأيضاً ليست رؤيا شيخ الطريقة كرؤيا المريد أو الدرويش ... وهكذا كلٌ يرى أو يحلم على شاكلته.

2. **الصحة والمرض** : للحالة الصحية أثرها في معنى الرؤيا ، فليس غريباً ان يرى المريض نفسه مشافىً معافى ، ولكن الغريب ان يرى السليم نفسه مريضاً أو معاقاً ، وعلى هذا ليس لدلالة المرض أو الصحة معنى ثابت في جميع الأحوال .

فقد تكون حاجة الإنسان النفسية للصحة مؤثرة في حاله وبالتالي في رؤياه ، وقد يكون بصحة جيدة ويرى نفسه مريضاً ، ووقتها يقف المفسر أمام مفترق طرق لمعرفة الدلالة، فهل المقصود ان هذا الشخص سيمرض ؟ أم ان للمرض دلالة اشارية لتدهور حالته الاقتصادية أو مكانته الاجتماعية أو سمعته بين الناس ؟ أو يكون دلالتها متعلق بشخص قريب جداً على قلبه ونفسه لدرجة ان تنعكس الرؤيا على ذلك الشخص وليس على الرائي ؟

هذه الاحتمالات وغيرها ، تقلصها معرفة المفسر ببقية التفاصيل لحال الرائي ، وكلما زادت المعرفة ازداد الاقتراب من المعنى الحقيقي أو المجازي لتلك الرؤيا .

3. **نوع العمل ومستوى الغنى والفقر** : من الأمور التي تؤثر في نوعية الرؤيا ، طبيعة العمل الذي يقوم به الرائي ، فرؤيا الفلاح ليست كرؤيا العامل أو المستخدم ، وهي ليست كرؤى الدكتور أو المهندس أو الأساتذة ، وبالطبع رؤى هؤلاء ليست كرؤى رجال الأعمال والتجار وأصحاب المصانع .. ، وهي ليست كرؤى الطلاب والتلاميذ ...الخ .

كما ان الرضا عن نوعية العمل الذي يقوم به الإنسان أو عدم رضاه ، له تأثير في رؤياه ، وبالتالي له أثر في التفسير، وكذلك مقدار الدخل المترتب على ذلك العمل ومدى كفايته أو الحاجة للمزيد من المال أو الزيادة فيه ، وعلى الجملة فإن رؤى الأغنياء ليست كرؤى الفقراء .

4. **مكان السكن** : لمكان السكن تأثير كبير في الرؤيا ، فرؤيا ساكن المدينة تختلف عن رؤيا ساكن الريف ، وكذلك رؤيا ساكن الإيجار غير رؤيا صاحب الملك ، ورؤيا من يسكن لوحده ليست كرؤيا من يسكن مع عدة عوائل ، وأيضاً للسكن في العمارات تأثير مغاير عما للسكن في المنازل الاعتيادية ، والسكن في المناطق الشعبية غيره عن السكن في المناطق الراقية ...الخ . فمن الضروري للمفسر ان يطلع على كل ما يتعلق بسكن الرائي ليتمكن من معرفة تفسير الرؤيا أو تأويلها.

5. **الحرب والسلم** : ان لزمان الحرب تأثيراً على الرؤيا يختلف عن زمان السلم ، ولزمان الشدة تأثيراً يختلف عن زمان الرخاء . ورؤيا الضابط ليست كرؤيا الجندي ، كما ان رؤيا العسكري في المراكز التدريبية أو الوحدات الخلفية ليست كرؤى الجنود والقادة في خط الجبهات ...الخ .

6. **الموسم أو الفصل** : فرؤيا المياه والأمطار في الصيف والعكس في الشتاء له مدلول خاص في معنى الرؤيا ، بخلاف من يرى المياه والأمطار في الشتاء .

7. **السياسة والتيارات الفكرية** : لأصحاب الفكر السياسي أو الحزبي أو التيارت الفكرية والاجتماعية والكتاب والمؤلفين أنماطاً من الرؤيا مغايرة لما هي عليه عند غيرهم ، فلكل تيار أو توجه تأثيرات معينة في نفسية الرائي وبالنتيجة في الرؤيا.

ولو أردنا ان نعدد الأمور المؤثرة في الرؤيا مبنىً ومعنىً كما يراها الشيخ محمد الكسنزان لطال بنا المقام ، إذ يصعب حصرها لكثرتها وتنوعها ، وحضرته (قدس الله سره) ينطلق في ذلك من خلفية أن مخيلة الإنسان مما تؤثر

في الرؤيا والأحلام ، وهذه المخيلة عبارة عن مجمع كبير لصور الأشياء التي أتت عن طريق الحس ، وهي مما يمكن ان يراه الإنسان في أثناء نومه ، كما وان هناك معلومات إضافية ينبغي على المفسر أخذها بنظر الاعتبار قبل التفسير مثل :

هل كان الرائي قبل النوم هادئاً أم غضباناً .؟

هل كان يفكر بشيء معين أو لا على التعيين ؟

هل كانت أحلام اليقظة مسيطرة عليه طوال النهار أم هموم العمل والدنيا ؟

هل هو عازب أم متزوج أم أرمل ، وهل يرغب بالزواج أم لا ؟

هل واجه مشاكل عصيبة في نهاره أو كان يومه روتينياً؟

هل نام على أساس شروط دينية معينة أم لا على التعيين؟

هل كان نومه في فراشه مريحاً أم لا ؟

هل نام في المكان المعتاد عليه أم غير مكانه ؟

هل نام وهو يشعر بالجوع أو العطش أم نام بعد أخذه كفايته من الأكل والشرب ؟

هل ينتظر يوماً مزعجاً أو متعباً أم ينتظر يوماً عادياً ؟

هل كان مريضاً أو على سفر أم لا ؟

هل نام وهو يقرأ شيئاً من القرآن أو يسبح ربه أم نام وهو يفكر باللهو واللعب؟

هل نام وهو جنب أم نام وهو طاهر ؟

وهل .. وهل .. والقائمة تطول . ولا شك ان ذلك كله مما يؤثر في الرؤيا وبالتالي في تأويلها ، الأمر الذي يمكن توضيحه من خلال المثال الآتي :

إن رؤيا (الرمان) مثلاً لها أوجه وأوجه من المعاني ، تختلف بحسب كل إنسان ومكانته الاجتماعية والعلمية والثقافية وغيرها ..

فتأويل الرمانة بالنسبة إلى الملك ربما ترمز إلى بلدة يملكها أو يولّى عليها ، فتأويل قشرها : جدارها أو سورها ، وحب الرمانة : يرمز إلى أهلها .

والرمانة للتاجر : ترمز ربما إلى داره التي فيها يسكن أهله ، أو فندقه ، أو سفينته الموقرة [1] بالناس والأموال في وسط الماء ، أو دكانه العامر بالناس ، أو خزنة أمواله .

والرمانة للعالم أو العابد المتنسك : قرآنه وكتابه ، وقشرها : أوراقه ، وحبها : كتاباته التي فيها صلاحه .

والرمانة للأعزب : زوجة بمالها وجمالها . وهكذا بحسب كل صنعة وصاحب حال .

إن من يستمع إلى الشيخ وهو يصف ما ينبغي للمفسر معرفته من هذه الأمور قبل ان يفسر يكاد يجزم إن معرفة كل ذلك من أي شخص مهما كان قريب من الرائي يعد ضرباً من المحال ، فكيف إذا كان المتكلم شخصاً بعيداً ليس بينه وبين المفسر سابق صلة أو معرفة ، ثم إذا كان ذلك كذلك ، فما بالك بمن لا يتصل بالمفسر ، بل يطالع كتبه ومؤلفاته في تفسير الأحلام ؟!!.

وبهذه النظرة ، وتماشيا مع رأي حضرة الشيخ محمد (قدس الله سره) نستطيع ان نصنف كتب تفسير الأحلام المعمول بها قديماً وحديثاً ، ضمن كتب الأبراج أو الطالع ، إذ قد تصح توقعاتها ولكن بالمصادفة ليس إلا ..

---

1 - الموقرة : أوْقِرَت : كثُر حملها (المنجد في اللغة والأعلام) – ص 912 .

بدا واضحاً من رأي الشيخ (قدس سره) بأن علم الأحلام قريب جداً من علم التصوف عنده ، وذلك لأن علم التصوف حسب ما يعرفه الشيخ محمد (قدس الله سره) هو : (علم معرفة الله سبحانه وتعالى) فهنا علم بني على معرفة ، أو نتج من معرفة .

والفرق بين الاثنين ان العلم هو نتيجة التفكير العقلي والتجربة في الأمور الحسية الملموسة في المختبرات العلمية . أما المعرفة فهي نتيجة السلوك الصوفي والتجربة الروحية، حيث يصل العبد إلى درجة من الصفاء بحيث يرحمه الله ويهبه من لدنه ما يشاء من علمه ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [1] .

والسبيل للوصول إلى هذا العلم هو التقوى ليس إلا ، يقول تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ [2] . فالعلم الناتج عن هذا الطريق يسمى (معرفة) تمييزاً له عن العلم الناتج عن الكسب والتجربة العملية ، و أعمال الفكر والنظر في العلوم التي لا علاقة لها بشكل مباشر مع الله أو العوالم الميتافيزيقية . فعندما يقول الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) ان التصوف هو علم معرفة الله ، أي هو العلم الذي يوصل إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق التقوى والسلوك الروحي الذي يكشف للعبد حقائق معروفة لدى الصوفية تجعلهم يتقربون من الله تعالى إلى أدنى درجات القرب والتي يعجز العقل عن إدركها، وهي المتمثلة

1- الكهف : 65.
2 – البقرة : 282 .

بالفناء بمحبته سبحانه ، حيث تصبح فيه مدارك العبد وقواه الحسية فانية معدمة ، ولا بقاء إلا لنور الله تعالى فيه ، فوقتها لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يعقل ولا يتحرك ولا يسكن ، بل ولا يبطش إلا بالله جل جلاله ، أو بنور الله على وجه الدقة ، وهذه الحالة ليست بدعاً من القول في الإسلام ، بل لقد أشار إليها حضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ في الحديث القدسي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ﴾ [1] .

والمراد بالنوافل هنا السلوك الصوفي المتمثل بالمجاهدات والرياضات والتزام الطاعات المتمثلة بالأذكار والأوراد والأعمال الصالحة كلها في الدين والدنيا .

المهم أن العبد إذا وصل إلى هذه المرتبة من الفناء في محبة الحق سبحانه ، فعندها لا يعود يرى الأمور ببصره ورأيه ، بل بنور الله تعالى ، ونور الله تعالى لا تحده الحدود ، ولا تحصره الحجب ، بل هو محيط بالأشياء ، ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [2] ، ومن خلال هذا النور وبواسطته فقط يستطيع معرفة الله سبحانه وتعالى ، فالحق كما يقول الصوفية لا يعرف إلا بنفسه ، وهو معنى : « اعرف الله بالله » .

---

1 – أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، في كتاب الرقاق – حديث رقم 6021 .

2 – النور : 35 .

إذاً يمكن القول إن التصوف هو العلم الذي يوصلك إلى المعرفة ، والمعرفة توصلك إلى العلم . وأياً كان الأمر فهذا العلم كما يصفه حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) هو « تجربة روحية لا تخضع إلى العقل المنطقي ، وفيها تتحد الذات والموضوع ، وتقوم فيها البوادر واللوائح واللوامع مقام التصورات والأحكام والقضايا العقلية ، إذ المعرفة فيها معاشة لا متأملة ، ويغمر صاحبها شعور عارم بقوة تضطرم فيه وتغمره كفيض من النور الباهر ، أو يغوص فيها كالأمواج العميقة ، ويبدو له أيضاً ان قوى عالية غزته وشاعت في كيانه الروحي ، وما هذا إلا نفحات روحية علوية ، ولهذا يشعر السالك بإثراء في كيانه الروحي ، وتحرر في أفكاره وخواطره وهيجان لطاقات كامنة تغور في أعماق نفسه »[1] .

ان هذا النص يمكن ان يعد جامعاً مانعاً لكل ما يتعلق بالتجربة والمعرفة الصوفية ، فنظرة سريعة إلى مفرداته تكشف الأبعاد الخاصة التي يتبناها القوم .

التجربة الروحية خارج حدود العقل المنطقي .. لماذا ؟

لأنها تتعامل بشيء ومع شيء أوسع من العقل ألا وهو الروح الذي يمد العقل نفسه بالطاقة على الحياة والإدراك .

هذه التجربة تتوحد فيها الروح الإنسانية مع الروح الكلية التي تنتظم الوجود ، ففيها تتحد عند العبد معانيه الذاتية مع المعاني الموضوعية ، وهذا الإتحاد المعنوي يكسب العبد المعرفة بالحقائق الكونية ، على اختلاف السالكين ، فمنهم من يعرف هذه الحقائق قبل الوصول إلى حقائق الحق ، ومنهم من يعرفها بعد الوصول .

1 – السيد الشيخ محمد الكسنـــزان – الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية – ص 82 .

وكما أن للقضايا العقلية تصورات وأحكام وموازين خاصة ، فإن لهذه التجربة التي هي خارج حدود العقل موازينها الخاصة بها وهي المشار إليها بالبوادر واللوائح واللوامع ، وهي مصطلحات شرحها الصوفية وكشفوا عن ماهيتها بلغة العقل كي يستوعبها غيرهم ، والمهم ان هذه الأمور تقوم في التجربة الصوفية مقام البراهين والأحكام في الأبحاث العقلية .

والعبارة الأهم في هذا النص هي ان المعرفة في هذه التجربة معاشة وليست متأملة ، إذ التأمل والتفكر من وسائل وطرق العقل في المعرفة ، وهذه التجربة لا تعتمد معرفتها على التأمل العقلي بل على الذوبان في المحسوس أو المطلوب معرفته.

فإذا حصل الذوبان والاندماج - الروحي وليس الجسدي أو المادي - بالمطلوب والمقصود والموجود وهو نور الله سبحانه وتعالى .. ما الذي يحصل ..؟؟ .

تغمر ذلك العبد مشاعر عارمة خارجة عن المشاعر البشرية المألوفة لأنها من فيوضات الأنوار الإلهية . فوقتها وحين تتلاشى مشاعره في تلك الفيوضات المطلقة فان مشاعره وأحاسيسه تتحرر من قيودها الموروثة وتسمو بالكمال الرباني، وبدل ان يكون العبد ذا خُلق إنساني محدود ، يصبح ذا خلق قرآني رباني مطلق ، ذا خلق عظيم .

حين تتلاشى المشاعر والأحاسيس الإنسانية بالنفحات العلوية الربانية ، تتحرر من أنانيتها وخواطرها النفسية ، ووساوسها الشيطانية ، وتتكشف عنها تلك الأغطية والحجب الظلمانية ، فتظهر طاقاتها الكامنة التي جمع فيها الحق سبحانه كل علومه ومعارفه وزرعها في ذاته ، تلك العلوم التي وهبها الله تعالى لأبي الإنسانية آدم عليه السلام ونص عليها بقوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ [1] ، فذاك العلم عند الصوفية ،

---

1 - البقرة : 31 .

هو من جنس هذا العلم الذي يصلون إليه بواسطة الله تعالى مباشرة وليس من خلال العقل والتجربة المختبرية.

وليس في كل ذلك امتهان للعقل والعلم النظري او التجريبي أو كما يسمى الكسبي ، وهو غير منكر عند الصوفية أبداً ، ولكن كما ان للعين دورها ووظيفتها في الحياة وهو يختلف عن دور الإذن ووظيفتها وكلاهما مهم للإنسان ، فإن للعلم بواسطة العقل والعلم بواسطة المعرفة دورهما في الحياة وكلاهما مهم ولا تناقض ، فلكل منهما شأن يغني عن الآخر .

تفسير الأحلام .. ومعرفة النفس

لقد أسهبنا قليلاً في التعرض لمعنى المعرفة عند الصوفية لأننا وجدنا أن هذه المعرفة هي المفتاح لفهم علم الأحلام وتفسيرها عند الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) .

كيف .. ؟!!

في هذا العصر صنف العلماء ، علم الأحلام ضمن قائمة (علم النفس) ، وأخذوا يدرسون هذا العلم ، ويجرون التجارب والاختبارات لمعرفة حقائقه وكل ما يتعلق به ، عسى ان يصلوا إلى فك ألغازه ، وحل طلاسمه ، فإلى ماذا وصلوا .. ؟

مدارس متعددة ، ونظريات متضاربة ، وآراء متعارضة ، ووقف العلم والعقل والتجربة عاجزاً أمام هذه الحالة الإنسانية التي لا تفرق بين جاهل وعالم ، أو صالح و طالح ، أو كبير و صغير ... الخ .

الواقع ان التجارب والاختبارات في هذا المجال ، تجعل نظريات العلم أقرب إلى النظريات الفلسفية منها إلى النظريات العلمية ، لأن النتائج المستقاة من هذه التجارب تبنى بشكل أساسي على التصور والظن وليس على أمور حسية ملموسة .

ومن جهة ثانية ليس في التشريع الإسلامي ما ينص على ان الرمز الفلاني في الرؤيا يدل على كذا ، فلو رجعنا إلى أكثر من اشتهر بهذا العلم وهو ابن سيرين مثلاً لوجدنا ان ما من ضابط أو قاعدة محددة يتقيد بها المفسر في تعبير الرؤيا ، ومن ذلك ما يحكى أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين يخبره عن حلم رآه حيث كان فيه يؤذن ، فقال ابن سيرين له : (تقطع يدك) ، وجاء إليه آخر يخبره عن حلم يماثل حلم الأول تماماً فقال له ابن سيرين : (تحج) .

وقد دهش الحاضرون لهذا التناقض بين التفسيرين مع ان الحلم واحد ، وسألوا ابن سيرين عنه ، فأجابهم بما معناه : إن الأول رجل تبدو عليه سيماء الشر ، والأذان الذي قام به في النوم يدل على انه سارق ، وسوف تقطع يده وذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [1] . أما الرجل الثاني فتبدو عليه سيماء الخير ، وآذانه يدل على انه سوف يحج بيت الله الحرام بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [2] .

فكان الأمر كما عبر عنه ابن سيرين في الحالين [3] .

ولو تأملنا هذه الحكاية لوجدنا أنها تدل على أمرين :

---

1 – يوسف : 70 .

2 – الحج : 27 .

3 – ابن سيرين – تفسير المنامات الكبير – ص 8 .

1. لا يوجد نص حتمي قاطع في تفسير الرؤيا عن رجال الدين ، كما هو الشأن في الحلال والحرام .

2. لا يوجد قاعدة محددة أو ضابط في التفسير فالأمر متروك لفراسة المفسر ومدى ربطه بين ما يرى ويسمع من الرائي وبين النص الديني أو العرف الاجتماعي.

بمعنى ان تفسير الأحلام ليس من العلوم الشرعية المقيدة بموازين أهل العلم الشرعي كموازين علم الفقه أو علم الحديث أو غيرها من العلوم الإسلامية .

لقد اعتمد ابن سيرين على نوع من المعرفة بنفسي الرجلين وعلى أساسهما فسر. وبناءاً على هذه المعرفة (الفراسة) وظف النصوص الدينية في خدمة المعرفة ، وليس العكس ، وهذا مهم جداً في ان تفسير الأحلام لا يعتمد على النص بقدر ما يعتمد النص على المفسر والتفسير .

الأمر هنا يشبه ما يقوم به العلماء المهتمين بالإعجاز العلمي للقرآن ، فهم لا يستنبطون الظاهرة الكونية من القرآن الكريم قبل حصولها ، بل ينتظرون العلماء حتى يكتشفوا شيئاً، ويأخذون ذلك الاكتشاف وينظرون في القرآن فيجدون ما يدل عليه أو يشير اليه فيقولون قد ذكر هذا في كتابنا قبل قرون .

إنهم يطوعون النص لصالح الاكتشاف العلمي الذي قد يدحض بعد حين ، ووقتها يجدون في القرآن ما يؤيد هذا الدحض ويدعم الاكتشاف الجديد .

مفسري الأحلام التقليديين ، يسيرون على هذا المنوال ، فهم لا يقرؤون في القرآن ويعرفون التفسير ، بل يسمعون من الرائي ويفسرون بحسب ما يرون ثم يلتمسوا ما يؤكده في الكتاب أو الحديث أو الخبر أو الأثر أو المثل .. الخ .

وهذا يعني أن تفسير الأحلام لا يعتمد على دليل علمي أو دليل شرعي بقدر ما يعتمد على دليل معرفي بحسب ما يرى الصوفية .

والمراد بالدليل المعرفي هنا هو الطريق إلى معرفة العبد لنفسه ، فهذه المعرفة توصله إلى معرفة التفسير أو التأويل المناسب لحلمه أو رؤياه ، بعيداً عن المنطق العلمي أو العقلي .

كيف ذلك .. ؟

هناك عوامل في العالم الكوني تؤثر في النفس البشرية ، وتنسخ فيها انطباعاتها ومؤثراتها ، وهذه الانطباعات الكونية المؤثرة في النفس ، تجد مدى أوسع للظهور حال النوم ، وظهورها في عالم النوم تحكمه قوانين خاصة ، وهي قوانين خارجة تماماً عن القوانين الكونية التي استنتجها علماء الطبيعة أو الفيزياء لحد الآن .

وكما أن من يعرف أو يكتشف قوانين الطبيعة يستطيع على أساسها تفسير الظواهر الكونية ، فإن من يكتشف قوانين النفس يستطيع ان يفسر الأحلام .

ولكن ليس الأمر على هذا الإطلاق كما يرى الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) ، فلكل نفس قوانين خاصة بها ، ولهذا يصعب بل يستحيل وضع جدول أو معجم لحل رموز الرؤيا للجميع ، لأن ما ينطبق على فرد يختلف عنه للفرد الآخر بسبب اختلاف القوانين أو الأحوال النفسية لكل فرد من الأفراد .

إن معرفة الشخص لنفسه ـ عند الشيخ محمد الكسنـزان ـ هي السبيل الأمثل لحل رموز عالم الأحلام بشكل يقيني لذلك الشخص ، لأن هذه المعرفة تعني إطلاع ذلك الشخص على خفايا نفسه وعلاقة تلك الخفايا بالعالم الكوني ، وبالتالي يستطيع معرفة معنى ما يرى في المنام . فقد يرى احدهم رؤيا نتيجة تأثره بحادثة

معينة فيفسرها بما يتناسب وتلك الحادثة ، وربما يرى مثلها في وقت لاحق فيفسرها بغير التفسير الأول لأنه يكون عارفاً بنفسه أن حاله أثناء هذه الرؤيا غير حاله في الرؤيا الأولى .

وهنا ينبغي التذكير ان الطريق إلى معرفة النفس هو نفس الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولقد اشتهر بين الصوفية الحديث القائل ﴿ مَنْ عَرِفَ نفسهُ فقد عَرِفَ ربهُ ﴾[1] فطريق المعرفة واحد ، ونتائج المعرفة - بالنسبة للعبد - واحدة أيضاً .

تفسير الأحلام في الطريقة

مما تقدم تبين ان مبدأ الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) في هذه المسألة هو أنه لكل إنسان أو مريد طريقته الشخصية في التفسير أو التأويل من خلال تجربته الخاصة في معرفة نفسه . ولا يستطيع أحد ان يفسر حلم غيره على وجه اليقين إلا إن كان يعرف ذلك الشخص كما يعرف نفسه .

ولما كان العلاقة التي تربط الشيخ بالمريدين علاقة روحية، وليست مجرد علاقة ظاهرية كالموجودة بين التلميذ والمعلم في المدرسة .

ولما كان الشيخ هو المربي الروحي للمريد ، وهو الذي يساعد المريد على معرفته بنفسه .

فإن الشيخ يستطيع تفسير رؤى مريديه بدون أي تفاصيل أو معلومات عن حياتهم أو ما أثر فيهم قديماً أو حديثاً .

---

1 - أنظر : كشف الخفاء - ج 2 ص262 - حديث رقم 2532 .

السر في ذلك يرجع إلى خاصية (المعرفة) التي تلغي الثنائيات من الناحية الروحية ، وصولا إلى الوحدة ، فخلال رحلة المريد وسفره إلى الله تعالى ينبغي عليه ان يعبر قنطرتين أو جسرين في الطريقة الكسنـزانية للوصول إلى معرفة الله تعالى :

الأولى : قنطرة الشيخ ، فعليه أن يفنى في محبة شيخه ، الفاني في محبة الرسول ﷺ .

الثانية : ان يفنى في محبة الرسول الأعظم ﷺ ، الفاني في الله تعالى .

ومعنى فناء المريد في محبة شيخه ، هو ان تتلاشى وتذوب إرادته وأحاسيسه ومشاعره في إرادة شيخه وأحاسيسه ومشاعره ، لكي يتنور باطن المريد بما تنور به الشيخ من الرسول الأعظم ﷺ .

وهذا التنوير يكشف للشيخ قبل المريد حقيقة نفس المريد وكل قوانينها الخفية ، فإن سأل المريد شيخه عن رؤيا رآها علم الشيخ من فوره معناها وتفسيرها أو تأويلها في حق المريد . وإن تحقق المريد بمعرفة نفسه ، تمكن من معرفة ما يعرفه الشيخ منه ، ووقتها يجئ تفسيره مطابق لتفسير الشيخ .

إذاً المعرفة عند الصوفية هي السبيل اليقيني لحل شفرات عالم الأحلام ، ولكي يستطيع كائناً من يكون ان يفسر جميع أحلامه على وجه الدقة يحتاج إلى طريقة صوفية توصله إلى المعرفة الكاملة بنفسه وبربه ، وبالتالي بكل ما سوى ذلك ، فمن عرف الخالق لا يمتنع عليه معرفة المخلوق سواء أكان رؤيا أو غيرها .

بالرغم من ذلك فأن الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) ينصح ببعض الأمور التي تساعد الإنسان على تعلم الطريقة التي يستطيع بواسطتها تفسير حلمه بنفسه ، ومنها :

أولاً : الخطوة الأولى التي ينصح بها السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) كل مسلم ليتعلم كيف يفسر أحلامه ، هو أخذه الطريقة وسلوكه فيها ، فالطريقة تساعده على الوصول إلى معرفة نفسه حق المعرفة في أقصر وقت ممكن ، وهذه المعرفة كفيلة بفك رموز التأويل التي تربط حياته الشخصية الذاتية ، بالمحيط الخارجي الذي يعيش فيه .

والواقع إن الدراسات والأبحاث في هذا المجال أثبتت ان الصوفية هم أكثر الفئات التي تكلمت عن العلاقة بين الإنسان والعالم ، حتى أطلقوا على الإنسان مصطلح (الكون الصغير) وعلى العالم (الكون الكبير) ، وقابلوا بينهما مقابلة تأويلية ، متمثلين في ذلك :

وتحسب نفسك جرماً صغيراً وفيك انطوى العالم الأكبر

وكان لكل شيخ أو عارف نظرية أو رأي خاص به في هذه المقابلة وما تشير إليه رموز الإنسان في العالم الكبير ، أو بالعكس .

فلو أخذنا مثلاً آراء الشيخ الأكبر ابن عربي (قدس الله سره) لوجدنا انها تدور في هذا الشأن بإقامة علاقة بين الإنسان والعالم تقوم على نوع من التماثل كما تقوم على نوع من الاختلاف ، فحقائق العالم عنده توجد بكاملها في الإنسان ، والفارق أنها

في الإنسان في حالة اجتماع بينما هي في العالم في حالة افتراق وتشتت [1] .

إن السلوك الصوفي يُدخل الإنسان في تجربة معرفية تتجاوز به كل الحجب الفاصلة بين عالمي اليقظة والنوم ، المتمثلة بسلسلة الاحتمالات الكثيرة لتعبير الرؤيا ، كالحيرة بين الرؤيا الصادقة والحلم وأضغاث الأحلام ، وكالحيرة في كيفية التفسير ، هل بتصديقها ، أي بحملها على ظاهرها دون تأويل كما فعل نبي الله إبراهيم عليه السلام وصدق رؤياه وأراد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ، أو بتأويلها إلى المقاصد المترتبة عليها ...

فالتجربة الصوفية ، هي مرحلة التدريب المعرفي عند الصوفي لكي يتعلم على يد شيخه كيف يميز بين هذه وتلك ، وكيف يختار أو كيف يعرف .

ثانياً : ينبغي معرفة أن الانطباع الأول بعد الاستيقاظ مباشرة فهو الأقرب إلى معنى الحلم أو الرؤيا .

لماذا ..؟

لأن الصور التي يراها النائم عبارة عن أغطية (حجب) على المعاني التي تختفي ورائها ، فأين صورة اللبن في الحلم من معنى العلم في الحس والتي أولها حضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم به ؟!!

وبالتالي فالصور في الحلم عبارة عن رموز ، وهي تحتاج إلى التأويل ، لأن التأويل – كما يرى ابن عربي – هو عبارة عن قوة إلهية يهبها الله للعارفين ، يصبحون بها قادرين على عبور الصورة – الحلمية – إلى معناها الباطن وصولاً

1 - نصر حامد أبو زيد – فلسفة التأويل – ص 159 .

إلى العلم الصحيح [1].

أي ان التأويل هو إرجاع الصورة إلى معناها أو حقيقتها التي شوهتها الصورة في الحلم أو غطتها . فبدل ان يدرك الإنسان في النوم المعنى المقصود ، تنطوي تلك المعاني وتتماهى ضمن سلسلة صورية قد تكون متسلسلة الأحداث أو مشتتة أو متفرقة ..

ولأن لحظة الإستيقاظ الأولى تكون أقرب ما يكون من حالة المعنى التي كان يشعر بها الإنسان وقت النوم ، فإن صرف الذهن إلى المعنى المراد بهذه الرؤيا بعد الإستيقاظ مباشرة هو الأقرب إلى معرفة التأويل الحقيقي لتلك الرؤيا ، بصرف النظر عن التشكيلة الصورية التي كان يراها ، لأن الصور أغطية يتعلق بها العقل ، بينما المعاني وهي المقصود الحقيقي قابعة وراء تلك الصور.

بعبارة أخرى ، ينبغي استغلال اللحظة الأولى من الاستيقاظ من النوم لأنها أقرب إلى المعنى منها إلى الصورة ، والمعنى هنا هو المقصود الحقيقي من الرؤيا وليس الصورة .

لنضرب مثل : عبّر نبي الله يوسف ﷺ عن البقرات العجاف بسنين القحط في رؤيا الملك . أي ان المعنى الذي كان يحضر الفرعون في حال نومه هو سنين القحط والعوز ، وقد تشفر أو تترجم بصورة البقرات .. لماذا ؟

لأنه يجب ان يتشفر المعنى بصورة معينة ، اذ ان الإنسان في اليقظة لا يرى إلا صور ولا يعقل المعاني إلا من خلال الصور ، ولما كان في نومه يفارق سلطان العقل مؤقتاً ، يستعير الخيال صوراً مألوفة ليضمنها تلك المعاني ، سواء

---

1 - المصدر السابق – ص 227 .

أكانت تلك الصور قريبة من المعنى أو بعيدة عنه . أي انه لا ضابط للخيال في حالة النوم بصور معينة للمعاني كما هو الحال عليه في حالة اليقظة والتي يتحكم فيها العقل ، فالعقل في اليقظة لا يسمح للفكر ان يفهم أي معنى إلا من خلال صورة معينة ، ولهذا يعد إدراك العلوم الغيبية خارج حدود العقل الذي قد يصدق بوجودها معتمداً على الأدلة والبراهين العقلية أو الشرعية . ولكنه لا يستطيع ان يضبطها بهيئة أو صورة ، وبالتالي تبقى الأمور الغيبية معاني مطلقة في قياس العقل . فمثلاً ، قد يصدق العقل بوجود عالم الجن أو الملائكة ولكنه لا يستطيع تصورها ، فهذه العوالم تبقى معنوية وتسمى غيبية بالنسبة إليه .

ولكن لماذا تشفرت سنين القحط بصورة البقرات العجاف دون غيرها من الصور ؟

وهل هي قاعدة ثابتة ينبغي ان يفهم فيها معنى البقرة بهذا المعنى كلما وردت في رؤيا احدهم ؟ .

معلوم ان المستوى الفكري والمعاشي والاجتماعي الذي كان الإنسان يحيا به في تلك الحقبة البعيدة من الزمن ، كان يعتمد على مفردات الزراعة والمواشي والصيد والغزو وأمور بسيطة تتناسب وطبيعة حياتهم آنذاك ، ويبدو ان البقر كان يمثل ثروة اقتصادية كبيرة بالنسبة لهم ، حتى ان خيال الفرعون استجلب تلك الصورة ليطابقها مع معنى الحياة الاقتصادية كلها وما سيحصل فيها .

ولو فرضنا جدلاً أن هذه الرؤيا وقعت لحاكم في عصر الثورة الصناعية لما كان عقله يستجلب صورة البقرة العجفاء ، ولربما كان رأى آلات مفككة مبعثرة أو ما شابه .

ما نود قوله هو أن المؤثرات البيئية المحيطة في الإنسان وما تطبعه في نفسه من صور يعايشها يتم استغلالها من قبل خيال النائم ليضمنها المعاني التي تحضر النائم في وقت الحلم .

ومن هنا نفهم ان لا قاعدة ثابتة في تفسير الأحلام ، ولهذا فان النصوص الدينية الواردة فيها ، ينبغي أن لا تفهم بحرفيتها بل بدلالاتها ومقاصدها . وهذا الفهم يتناسب تماماً مع القواعد التي قال بها الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) .

إذًا يؤخذ بالانطباع الأول ، ليس لأن الصورة تدل على شيء ، بل لأن الإنسان وقتها يكون أقرب ما يكون من عالم المعاني .

وهنا ينبغي التفريق بين الإدراك بواسطة الإحساس ، والإدراك بواسطة العقل . فهناك فرق بين ان تدرك شيئاً وبعدها تحس فيه ، كمن يرى صورة جميلة جداً ، ثم يحس بالارتياح أو الانشراح لها ، وبين ان تحس بالشئ ثم تدركه ، كمن يوخز بإبرة مثلاً على حين غرة دون ان يعلم ، ففي هذا الحالة يشعر بألم الوخز أولاً وبعدها يعقل بماذا وخز ، أبأبرة أم مسمار ام زجاجة ..

والحالة التي يُنصح بها لتساعد على معرفة التفسير للحلم، هي الثانية ، أي التي يعتمد فيها على الإحساس الأول بالمعنى ، قبل تذكر كافة تفاصيل الرؤيا ومفرداتها .

وحتى بعد التذكر ، لو استطاع الإنسان تذكر إحساسه الأول لكان اقرب كثيراً إلى المعنى الحقيقي من محاولة معرفتها عن طريق فك رموزها الصورية .

وللوصول إلى هذه المقدرة يحتاج الإنسان إلى ان يتمرس على معرفة نفسه وانطباعاتها قبل النوم وبعد الاستيقاظ ، بل وفي كل حالة من حالاته الحياتية ، وهو احد أساسيات السلوك في الطرق الصوفية ، التي تنمي في الإنسان حس

مراقبة النفس ومتابعتها في كل شاردة وواردة ، وأحياناً في كل لمحة ونفس .

ثالثاً : إذا غاب الانطباع الأول ، فينبغي أن لا يتم التركيز على المفردات الصورية للرؤيا ، أو كل أجزائها وتفاصيلها . فهذه الطريقة في التعامل مع الحلم تزيد من احتجاب المعاني خلف أستار الصور . فينبغي هنا تنشيط التعامل مع الإحساس وليس مع العقل ، وذلك بتذكر تفاصيل الرؤيا ومراقبة ما ينتابنا من مشاعر ، فهذه المشاعر هي المفاتيح الحقيقية لأدراك المعاني .

لنضرب مثل :

ترى ما هي صورة الجوع أو الخوف ؟

طبعاً ليس هناك صورة لذات الجوع أو الخوف ، لأن هذين الأمرين من عالم المعاني وليس من عالم الحس ، ولكن ربما تكون هناك مئات الصور التي تعبر عن هذين المعنيين ، فرجل يمسك بطنه ويتلوى يمكن ان تكون صورة عاكسة لحالة الجوع ، وحيوان يندفع بكل سرعته نحو فريسته ، قد تعطي معنى الجوع عند ذلك الحيوان ، ورجل على حافة جبل أو مرتفع تعطي انطباع للخوف من السقوط .. الخ .

المهم أن هذه الصور قد تعطي دلالات لحالات معينة ، ولكن هل هذه قاعدة مطردة يستطيع المرء الاعتماد عليها في معرفة أجزاء من حلمه أو رؤيته ؟

الحقيقة إنها ليست كذلك ، والدليل ان كثيراً من الرؤى تفسر بنقيضها أو عكسها ، فقد يرى النائم نفسه ميتاً فتؤول له بطول العمر .

وقد يرى الاثنان صور متقاربة فتؤول لأحدهما تأويلا يختلف عن الآخر .

إذاً الصورة الظاهرة في الرؤيا ، لا تدل بالضرورة على معنى يطابق

أو يقارب معانيها كصوره ، وإلا لأولنا صور اللبن بالقوة أو بالحاجة إلى الشراب ، أو إلى الماشية ، أو إلى كل ما له صلة من قريب أو بعيد باللبن ، ولكن ان تؤول بالعلم ، فذلك ما لا يمكن تفسيره بالمنطق العقلي .

ولهذا ، فمحاولة الاقتراب من عالم المعاني بالإحساس والشعور هو الأقرب لتفسير الحلم . وهذه المحاولة تقتضي من الرائي ان لا يركز على الصورة بقدر ما يركز على إحساسه وما ينتابه من شعور ومعرفة عند مروره بلقطات أو مقاطع تلك الرؤية . فما يدركه وقتها من استبشار بخير أو تخوف من شر سواء أكان بعينه أو بشكل عام ، هو ما استشعرته روحه من عالم الغيب عند مفارقتها الجزئية لبدنه أثناء النوم .

أما اذا تذكر المشهد ومر عليه إحساسه مرور الكرام فلم ينتابه شيء ، أي شيء فمعنى ذلك ان هذا المشهد ، بل هذا الحلم كله ، هو من أضغاث الأحلام مهما كان ، وكيف كان .

وما هي أضغاث الأحلام ؟

كيف تحدث ؟ ولِمَ ؟

هي عبارة عن صور ناتجة عن تخبطات في مشاعر النفس الإنسانية ، فهي كما يقال ، ليس لها أصل ولا فصل ، كمن يثرثر في الكلام بلا معنى أو قصد ، وقد تكون تلك الثرثرة بكلام منمق منسق وهو الصورة الحلمية المرتبة ، وقد يكون الكلام مبعثر غير مترابط وهو كالحلم المشتت .

وأما أسباب حصولها فكثيرة ، منها تشتت الإنسان في حياته بين متطلبات أو مشاعر كثيرة ، ومنها عدم استشعار الروح بشيء ذي معنى أو بال من العالم

الذي تواجهه في النوم . ومنها تحصل نتيجة ضغوط نفسية ، ومنها تحصل نتيجة إفرازات طبيعية لمؤثرات الواقع التي يعيش فيه الإنسان .

التنبؤ بتفسير الأحلام

إن تعبير الرؤى من الأمور الدقيقة التي تحتاج إلى وجود ملكة وموهبة ، وقوة نفس لدى المعبر ، ونوع من الإلهام والفراسة ، ولا يحصل التمكن في التعبير بمجرد التعلم والقراءة، وحفظ ما يوجد في الكتب ، ولهذا لم يتأهل لتعبير الرؤى على امتداد القرون إلا النوادر من الناس ، بخلاف العلوم والمعارف الأخرى التي تدرك بالتعلم والأخذ من الكتب .

قال القرافي : « اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته ، وتشعبت تخصيصاته ، وتنوعت تعريفاته ، بحيث صار الإنسان لا يقدر أن يعتمد فيه على مجرد المنقولات ، لكثرة التخصيصات بأحوال الرائين ، بخلاف تفسير القرآن العظيم ، والتحدث في الفقه والكتاب والسنة وغير ذلك من العلوم ، فإن ضوابطها إما محصورة أو قريبة من الحصر »[1] .

وقال : « وعلم المنامات منتشر انتشاراً شديداً لا يدخل تحت ضبط ، فلا جرم احتاج الناظر فيه مع ضوابطه وقرائنه إلى قوة من قوى النفوس المعينة على الفراسة ، والإطلاع على المغيبات بحيث إذا توجه الحزر إلى شيء لا يكاد يخطئ بسبب ما يخلقه الله ـ تعالى ـ في تلك النفوس من القوة المعينة على تقريب الغيب ، أو تحققه كما قيل في ابن عباس رضي الله عنهما : إنه كان ينظر إلى

---

1 – القرافي – الفروق – ج4 ص 249-250

الغيب من وراء ستر رقيق ، إشارة إلى قوة أودعه الله إياها ، فرأى بما أودعه الله - تعالى - في نفسه من الصفاء والشفوف والرقة واللطافة ، فمن الناس من هو كذلك ، وقد يكون ذلك عاما في جميع الأنواع ، وقد يهبه الله تعالى ذلك باعتبار المنامات فقط ... فمن لم تحصل له قوة نفس عسر عليه تعاطي علم التعبير , ولا ينبغي لك أن تطمع في أن يحصل لك بالتعلم والقراءة وحفظ الكتب إذا لم تكن لك قوة نفس فلا تجد ذلك أبدا , ومتى كانت لك هذه القوة حصل ذلك بأيسر سعي وأدنى ضبط ، فاعلم هذه الدقيقة فقد خفيت على كثير من الناس»[1] .

ولقد ذكر الأئمة أصولاً وضوابط لتعبير الرؤى والمنامات ، وهي موجودة في مظانها من كتب أهل العلم ، ولكن إنما يستفيد منها من يتوفر لديه الاستعداد والموهبة لتعبير الرؤى ، والمتأمل في الواقع يجد أن هذا المجال قد اقتحمه من لا يحسنه ، وخاض فيه من لا علم عنده ، حتى أصبح تعبير الرؤى مهنة من لا مهنة له مع بالغ الأسف . فإذا كان هناك من يؤول الرؤيا أو يفسرها ، فأنه احد اثنين :

أما ان يؤول على سبيل الظن ، بلا أساس علمي أو ديني ثابت حيث لم تحدد الشريعة تفاسير ثابتة لرموز الرؤى .

وأما ان يؤول على سبيل اليقين الناتج من التنبؤ بذلك التفسير عن طريق الكشف الصوفي ، ذلك الكشف الذي يستمد فيه العارف معرفته التفسيرية أو التأويلية في اليقظة من نفس المصدر الذي يستمد غيره منه في النوم .

---

1 - المصدر السابق .

الأحلام .. والتنبؤ بالمستقبل

في جانب آخر من هذا العلم ، هل تستطيع الأحلام التنبؤ بالمستقبل ؟

وما مدى صحة ذلك أو مصداقيته ؟

الواقع ان هناك كثيراً من الباحثين قد شغلوا بأمر تنبؤات الأحلام ، وهم قد انقسموا في تعليلها إلى فريقين :

الفريق الأول : وهو الذي يشمل جمهرة الباحثين في الأحلام من علماء النفس الذين ذهبوا إلى تعليل تنبؤات الأحلام بما يسمى بالمصادفة أو عامل الاتفاق ، ومن هؤلاء الدكتور (ملاك جرجيس) الأخصائي المصري في علم النفس والذي ذهب إلى القول : « ان نسبة الأحلام التي لا تتحقق عند الناس أكثر بكثير من نسبة الأحلام التي تتحقق ، وليس هناك أي أساس علمي يمكن للفرد العادي ان يعتمد عليه لتفسير أحلامه ... والحد الذي يتحقق يكون عادة نتيجة المصادفة أو لتوقع صاحبه حدوث ما حدث ، ولو بأسلوب غير واع ، وليس في ذلك شيء من التنبؤ كما يظن كثير من الناس خطأ .

فالشخص الذي يوقظ مخاوفه وقلقه النفسي على موضوع ما متخوفاً في يقظته من حدوثه قد يحلم أحلاماً مفعمة بهذه الأحاديث ذاتها ، وقد تشاء المصادفة ان يتحقق جزء مما حلم به ، أو حتى يتحقق الحلم كله ، لا بسبب الحلم لكن لأن ما توقعه هو خاتمة منطقية للظروف المحيطة به ، وليس أدل على صحة هذا الرأي من ان اغلب الأحلام لا تتحقق سواء أكانت أحلاماً تدل على شر أو على خير »[1] .

---

1 – د . علي الوردي – الأحلام بين العلم والعقيدة – ص 147 .

هذا التعليل المقبول لدى كثير من علماء النفس ، ولكن **هناك الفريق الثاني** : من الباحثين الذين لا يقبلون به ، لأنه إن صح التعليل بالمصادفة في كثير من الأحلام فإن هناك أحلاماً لا يمكن تعليلها بذلك ، لأسباب عديدة منها :

1. هناك أحلام تنبؤية تفصيلية ، وتحدث بدقة متناهية، يصعب تصور اجتماع تفاصيلها بطريق المصادفة .

2. ان بعض أحلام التنبؤ تتكرر أحيانا كأنها إنذار من مصدر خفي ، ومن النادر ان يتكرر الإنذار خلال فترة طويلة من الزمن ، ومثل هذه الأحلام يصعب تعليلها بعامل المصادفة ، فالمعروف عن المصادفة انها لا تتكرر على نمط واحد الا في حالات نادرة جداً.

معنى هذا كله ان بعض تنبؤات الأحلام تدل على وجود حاسة سادسة خارقة في الإنسان تستطيع ان تخترق حجاب الزمن وتستشف ما يكمن وراءه من حوادث مقبلة [1].

ان أصحاب هذه النظرية يقولون بأن للزمان بعداً رابعاً ممتداً في الفضاء ، من المعقول اذن ان نتصور مقدرة خفية في الإنسان تمكنه من التحليق في أحلامه فوق هذا البعد بحيث يتطلع بها إلى ما يحتوي عليه الزمن من أحداث آتية قليلاً أو كثيراً.

ومن الممكن تشبيه ذلك براكب الطائرة ، فهو بارتفاعه فوق نهر من الأنهار مثلاً يستطيع ان ينظر فيه إلى بعض النقاط البعيدة التي يعجز راكب الزورق عن رؤيتها ، ومعنى ذلك ان راكب الطائرة قد يكتشف أشياء في النهر هي مما يعدها

---

1 – المصدر نفسه – ص 149 .

راكب الزورق من أحداث المستقبل التي سوف يراها بعد الوصول إليها .

والحقيقة ان هذا الفريق هو الأقرب إلى رأي الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) في هذه المسألة ، اذ يقول : « لحظة الخلق لحظة العدم » وهي عبارة لها ما لها في الفهم الصوفي ، ومعناها ان اللحظة التي خلق الله سبحانه وتعالى بها السماوات والأرض والوجود بشكل عام ، هي نفسها لحظة العدم ، لتنزه الحق تعالى عن الزمان ، وتعلق الزمان بعالم الموجودات ، ومعنى ذلك إن المستقبل مخلوق سلفاً ، كما ان الماضي لم يعدم ، أي لا يزال باقياً في عالم الخلق . يقول تعالى ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [1] .

أي ان الزمن المقبل بجميع أحداثه موجود أمامنا كوجود الماضي وراءنا ، ولأن الأحلام غير مقيدة بعالم الحس فهي قادرة على ان تستشرف على المستقبل كما تستشرف على الماضي .

الأحلام بهذا المعنى عبارة عن خليط بين رؤى الماضي ورؤى المستقبل ، ولهذا تأتي في العادة مشوشة حيث يصعب على الإنسان ان يميز فيها بين الرؤى التي تنبعث من الحوادث الماضية وتلك التي تنبعث من الحوادث المقبلة [2] .

التنبؤ وإشكالية القضاء والقدر

ان القول بأن كل شيء خلق دفعة واحدة ، وإننا نسير على ما خطط لنا سلفاً ، وان لا محيص عما قضى الله وقدر ، تضعنا أمام إشكالية (الجبر) الذي يكون

---

1 – لقمان : 28 .

2 – مستر دن – تجربتي مع الزمن – 173 .

فيه الإنسان مجبور ومستسلم في أعماله لما قدر له ولا خيار له فيه . وهذا الرأي غير مقبول تماماً من قبل من يقولون بحرية الإرادة البشرية ، وقدرة الإنسان على صنع مصيره حاضراً ومستقبلاً بنفسه .

والحقيقة ان للشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) في هذا الموضوع رأياً فريداً ونادراً تجلى فيما يلي :

يرى الشيخ : ان الله سبحانه وتعالى جعل كل شيء بمقدار ، فلا يوجد ممكن غير مقدر، وقد أعطى سبحانه وتعالى الاختيار بيد الإنسان ، فإذا اختار أمراً جرى عليه القضاء بنتائجه المقدرة أصلا ، فمن يختار أمراً يترتب على أمر مسبق . فعلى سبيل المثال : شخص كتب عليه انه إذا فعل اليوم كذا فإنه يموت ، وإذا فعل كذا فإنه يرزق ، وإذا فعل كذا فإنه يمرض ، وهكذا . فما على الإنسان إلا ان يختار لينطبق عليه الحكم السابق .

الأمر أشبه بقوانين المحاكم الوضعية – مع الفارق - من يفعل كذا يعاقب بكذا ، ومن يفعل كذا يجازى بكذا .

فكل شيء مكتوب ولكن هذه الكتبة لا تلغي دور الإنسان في الاختيار ، بمعنى انها لا تنفي الحرية البشرية في اختيار وصنع المصير .

قواعد علم الأحلام :

نستطيع ان نلخص آراء السيد الشيخ محمد الكسنـزان في علم الأحلام وتفسير الرؤيا بالقواعد الآتية :

القاعدة الأولى :

ينبغي أن لا يلتزم بنهج مرسوم وثابت لتفسير الأحلام ، إذ ان ركن التأويل فيها مرجعه إلى حياة الإنسان ومعرفتها ، وحياة كل إنسان تختلف عن الأخرى ، ومعرفتها تصعب أحياناً حتى على الشخص نفسه .

القاعدة الثانية :

من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومن عرف ربه فقد عرف كل ما سواه . وبالتالي من يعرف نفسه يستطيع معرفة تفسير حلمه .

القاعدة الثالثة :

السلوك في الطريقة والتجربة الصوفية هي المفتاح المعرفي لكل رموز وأسرار عالم الأحلام بالنسبة للسالك .



النتائج التي استطاعت هذه الدراسة التوصل لها وحصرها تتلخص في النقاط الآتية :

1. ان الأحلام ، ليست من الأمور الهامشية في حياة الشعوب والأمم أو الأفراد ، لها تأثير في الآراء والأفكار والمعتقدات ، خصوصاً على المستوى الشعبي .

2. هناك تقارب بين الأفكار والنظريات التي طرحت قديماً والتي توصل لها الباحثين في العصر الحديث ، على الأقل من حيث الشكل العام ، وهذا يدل على ان الفكر الإنساني مهما تنوعت اتجاهاته يدور حول محور واحد في الأمور غير الحسية .

3. للأحلام أرضية شرعية مستمدة من القرآن والسنة المطهرة ، إلا إن تلك الأرضية ليست قادرة لوحدها على تأسيس قواعد علم الأحلام ، وذلك راجع إلى ان هذا العلم غير مقيد بالنصوص القولية .

4. كشف الصوفية حقائق هذا العلم حين حددوا بالضبط المرتبة الوجودية والمعرفية التي نبع منها هذا العلم ، بين الروحانية المحضة والمادية الصرفة ، وتعاملوا معه بالملكات الباطنية التي تتناسب معه .

5. لخص السيد الشيخ محمد الكسنزان أسرار هذا العلم كله من خلال كشفه عن التلازم بين علم معرفة النفس وبين علم الرؤيا ، ومعنى هذا ان أسرار هذا العلم ورموزه متغيرة من شخص لآخر والسبيل إلى معرفتها

هو من خلال معرفة النفس أولاً ، وهذا يتطلب خوض التجربة الصوفية التي تكشف للإنسان حقائق الحق والخلق معاً ، وليس الرؤيا والأحلام فحسب.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد
الوصف والوحي والرسالة والحكمة
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً



ترجمة حضرة
ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ٱلحسيني (قدس الله سره)
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية في العالم

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحيمِ

ٱلحمد لله وٱلصلاة وٱلسلام ٱلأتمان ٱلأكملان على حبيبه ومصطفاه ٱلوصف وٱلوحي وٱلرسالةِ وٱلحكمة وعلى آله وصحبه ومَن والاه .

أما بعد :- فأن ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ٱلحسيني (قدس الله سره) هو شيخ ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـزانية في ٱلعالم .

وهو علم من أعلام ٱلعراق وٱلعالم ٱلإسلامي ، ونجم من نجوم سماء أهل ٱلفكر وٱلعرفان لا لكونهِ شيخ طريقة صوفية فحسب بل لما يمتلكه من مؤهلات ذاتية هيأتهُ لأَن يكون ذا صدارة في ٱلمجالات ٱلدينية وٱلسياسية وٱلأجتماعية وٱلعلمية وٱلسيد ٱلشيخ ينحدر من أُسرة حسينية هاشمية هي فرع من فروع ٱلشجرة ٱلمحمدية ٱلمصطفوية ٱلطاهرة ٱلتي أصلها ثابت وفرعها في ٱلسماء .

فهو ٱلسيد ٱلشيخ محمد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم إبن ٱلسيد عبد ٱلقادر إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم شاه ٱلكسنـزان إبن ٱلسيد حسين إبن حسن إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم إبن ٱلسيد إسماعيل الولياني ٱبن ٱلسيد محمد ٱلنودهي إبن ٱلسيد بابا علي ٱلوندرينة ٱبن ٱلسيد بابا رسول ٱلكبير ٱبن ٱلسيد عبد ٱلسيد الثاني إبن ٱلسيد عبد ٱلرسول إبن ٱلسيد قلندر إبن ٱلسيد عبد ٱلسيد إبن ٱلسيد عيسى ٱلأحدب إبن ٱلسيد حسين إبن ٱلسيد بايزيد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم ٱلأول إبن ٱلسيد عيسى ٱلبرزنجي إبن ٱلسيد بابا علي ٱلهمداني إبن ٱلسيد يوسف الهمداني إبن ٱلسيد محمد ٱلمنصور إبن ٱلسيد عبد العزيز إبن ٱلسيد عبد الله إبن ٱلسيد إسماعيل ٱلمحدث إبن الإمام موسى ٱلكاظم إبن ٱلإمام جعفر

الصادق إبن ٱلإمام محمد ٱلباقر إبن ٱلإمام علي زين ٱلعابدين إبن ٱلإمام الحسين إبن ٱلإمام علي إبن أبي طالب (كرم الله وجهه) وٱلسيدة فاطمة ٱلزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام) بنتِ رسول ٱلله وخاتم ٱلأنبياء وٱلمرسلين سيدنا محمد ٱلمصطفى ﷺ .

وأما لقب ٱلكسنزان الذي أُطلق على عائلة ٱلسيد ٱلشيخ (قدس الله سره) فهو لقب أُطلق على جدّهم ٱلولي ٱلصالح وٱلعابد ٱلزاهد ٱلسيد عبد ٱلكريم ٱلأول وكلمة (كسنزان) كلمة كردية تعني ٱلشخص ٱلذي لا يعلم حقيقته أحد وسبب إِطلاق هذا ٱللقب على هذا ٱلسيد ٱلمبارك هو ٱنقطاعه لمدة أربع سنوات عن ٱلناس مختلياً في أحد جبال (قرداغ) [1] ، مع ربه متلذذاً بقربه مستأنساً بعبادتِهِ وحينما كان يُسألُ أحدُ ٱلناس عن ٱلشيخ ، يقول : (كسنزان) ، فجرى هذا ٱللَّفظ لقباً على هذا ٱلسيد ٱلمبجل ومن ثم على أبنائه وأحفاده كما أَنَّ هذا ٱللقب جرى على أَلسنة ٱلخلق عَلَماً للطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنزانية ٱلتي تبنّى مشيختها ٱلشيخ وأبناؤه وأحفاده من بعده .

فاسم ٱلكسنزان هو لقب عائلة وٱسم طريقة وله معناه ٱلاصطلاحي .

وأَما ٱسم العشيرة ٱلتي تنتمي إليها عائلة ٱلشيخ محمد فهي عشيرة ٱلسادة البرزنجية وٱلأب ٱلأعلى لهذه ٱلعشيرة ٱلشيخ عيسى البرزنجي هو أول من سكن في برزنجة من شمال ٱلعراق وبارك ٱلله في ذريته عدداً ومكانة ووجاهة دنيوية وأُخروية فالسادة ٱلبرزنجية ٱليوم هم أكبر عشائر ٱلسادة ٱلكرام في شمال ٱلعراق .

ولادته ونشأته :

ولد ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان ٱلحسيني (قدس الله سره) في (قرية كربجنة)

1 – قرداغ : وتعني الجبل الأسود ، وهي منطقة تقع في ضواحي مدينة السليمانية.

ٱلتابعة لناحية (سنكاو) من محافظة كركوك في شمال ٱلعراق فجر ٱلجمعة ٱلرابع عشر من شهر صفر (سنة 1358) للهجرة ٱلنبوية ٱلشريفة ٱلموافق للخامس عشر من شهر نيسان (1938 م) للميلاد وهذه ٱلقرية ٱلتي ولد فيها الشيخ هي موطن مشايخ ٱلطريقة ٱلكسنزانية ، ومنذُ سنواته الأولى التي قضاها في (كربجنة) كان شيخ ٱلطريقة هو والده ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنزان (قدس الله سره) ٱلذي أُنيطت به ٱلمشيخة من قِبَلِ أَخيه الأكبر ٱلشيخ ٱلزاهد صاحب ٱلخلوات ٱلسيد ٱلشيخ حسين ٱلكسنزان وٱلذي كان يُطلق عليه ولا زال لقب (ٱلسلطان) وٱلسلطان حسين هو الذي سمّى ٱلمولود ٱلجديد للشيخ عبد ٱلكريم محمداً وقال فيه مبشراً أَنه سيكون ولي زمانه وسيكون في ٱلطريقة ذا سلطان وجاه روحي واسع .

نشأ ٱلشيخ في هذه ٱلأجواء ٱلروحانية وفي هذا ٱلصفاء وبين أكْناف أولياء كبار لا تراهم إلّا ركعّاً أو سجّداً أو مسبحين أو مفكرين ومتدبرين مع ما كان لهم من مواقف وطنية مؤثرة في كل ٱلمجالات فالسلطان حسين كان من قادة ٱلجيوش ٱلتي تألفت من شيوخ ٱلعشائر وٱلوجهاء بقيادة ٱلسيد ٱلكريم وٱلمجاهد ٱلذي ذاع صيته في ٱلآفاق (ٱلشيخ محمود ٱلحفيد) الذي قاوم ٱلإنجليز إِبان ٱحتلال ٱلعراق فقد قاد ٱلسلطان حسين (قدس الله سره) معركة كربجنة ضد ٱلإنجليز وٱلتي انبثقت عنها فيما بعد معركة (دربند بازيان) [1] ٱلتي هزم فيها ٱلإنجليز وأُسر فيها قائد ٱلجيش هناك (ٱلكابتن مار) ، وقد أَبلى ٱلسلطان حسين (قدس الله سره) في هذه ٱلمعارك بلاء ٱلأَبطال ٱلذين يشار اليهم بالبنان في ٱلتاريخ و لم يكن ذلك وليد حينه فأن ٱلسلطان حسين هو ٱلنجل ٱلأكبر للشيخ عبد ٱلقادر ٱلكسنزان (قدس الله سره) ٱلعابد ٱلزاهد وٱلبطل ٱلمجاهد ٱلذي قاد ٱلمعارك ضد ٱلروس على ٱلحدود ٱلإيرانية في منطقة بانا

1 – دربند بازيان : وهي منطقة جبلية ذات غابات كثيفة وتقع بين محافظة السليمانة ومحافظة كركوك .

وشارك أيضا في (معركة ميدان)[1] مع رؤساء ٱلعشائر ٱلكردية وٱلسادة ٱلبرزنجية .

أما والد ٱلشيخ فهو ٱلشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) الذي تولّى مشيخة ٱلطريقة فكان من كبار ٱلشخصيات ٱلدينية وٱلأجتماعية وعلى يديه كَثُرَ عدد ٱلمريدين وتوَّسعت ٱلآفاق في ٱلأَرشاد وٱلتربية وٱلسلوك .

في هذه ٱلأجواء ٱلمفعمة بالروحانيات وٱلأخلاقيات وٱلمثاليات نشأ شيخنا وشرب من هذا ٱلنبع ٱلطاهر مشرباً طيباً هنيئاً مريئاً إذ تربّى على ٱلفضيلة بكلّ ما تحويه هذِهِ ٱلكلمة من معنى .

دراسته :

أَخذ ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) ٱلطريقة عن والده وأَخذ معها علوم ٱلتصوف بموسوعية كبيرة وكان ذا ملكة فكرية وروحية تمتاز بسعة ٱلأفق وقد هذّبت وتكاملت هذه ٱلملكة في دراسته وتعلّمه إذ أَخذ ٱلعلوم ٱلشرعية وٱلعربية على يد كبار علماء عصره وفقهاء مصره في مدرسة جدّه مدرسة (كربجنة) ٱلدينية فدرس ٱلعلوم ٱلعربية وٱلإسلامية على كبار علمائها منهم ٱلملا كاكا حمه سيف ٱلدين وٱلملا علي مصطفى ٱلملقب بعلي ليلان وٱلملا عبد الله عزيز ٱلكربجني .

ثم أن ٱلشيخ (قدس الله سره) لم يكتَفِ بذلك وإنما طوّر هذا ٱلخزين ٱلعلمي بكثرة ٱلمطالعة ٱلتي تعتبر همه ٱلأول . وللشيخ مكتبة علمية نادرة حوت آلاف ٱلكتب وٱلمخطوطات ٱلتي جمعها بمشقة كبيرة فقد واظبَ على مراجعة دار ٱلمخطوطات ومكتبة ٱلأوقاف ٱلعامة ومكتبة ٱلحضرة ٱلقادرية ٱلشريفة سبعة عشر عاما بصورة مستمرة يدخل ٱلمكتبة في بداية ٱلدوام ٱلرسمي ولا يخرج منها إلّا في نهايته . إذن فعلمه ٱلصوفي وملكاته ٱلروحية بالإضافة إلى كونها فيضا ربانيا ، فإن ٱلشيخ محمد

1 – معركة ميدان : نسبة إلى منطقة (ميدان) التي تقع شمال شرق العراق قرب الحدود العراقية الإيرانية .

ٱلكسنــزان تعهدها بكثرة ٱلمجاهدات وٱلرياضات لسنين طويلة ، وأمّا علوم ٱلتصوّف ٱلنقلية فقد تعهدها بالدرس وٱلبحث ، وأكبر شاهد على ذلك هو ما تضمنه انجـازه الكبير (موسوعة الكسنــزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان) ٱلـتي تُعَـدّ فريدة في بابها .

جلوسه على سجادة ٱلمشيخة :

إن ٱلجلوس على سجادة ٱلمشيخة في نظر أهل ٱلطريقة ، هو ٱختيار وتعيين علوي يجري بأمر ٱلله وأمر رسوله سيدنا محمد ومن يتم ٱختياره لهذه ٱلمهمة ٱلمقدّسة يكون دائما موضع نظرٍ ٱلله ورعايته ، فيفيض عليه ما يفيض من أنوار ويُمِدُّهُ بما يشاء مـن مدد ليكون أهلا للوراثة ٱلمحمّدية وٱلقيام بمهامها من هداية ٱلناس إلى طريـق ٱلحـق وٱلإيمان وٱلدعوة إلى ٱلله بالحكمة وٱلموعظة ٱلحسنة وبث ٱلخير وٱلنور وٱلسلام بين ٱلخلق وٱلقيام بمهام ٱلأمر بالمعروف وٱلنهي عن ٱلمنكر ومهام ٱلتربية ٱلروحية للأتبـاع وٱلمريدين .

وهكذا كان الأمر بالنسبة للشيخ (قدس الله سره) ، ففي آخر زيارة قـام بهـا حضرة ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنــزان (قدس الله سره) لأضـرحة ٱلمـشايخ ٱلكرام في قرية (كربجنة) كان ٱلسيد ٱلشيخ محمد (قدس الله سره) بصحبته وكان في تلك ٱلزيارة عدد كبير من ٱلخلفاء وٱلدراويش وٱلمحاسيب وٱلأتباع.

وبعد أن انتهى حضرة ٱلشيخ عبد ٱلكريم من مراسيم ٱلزيارة ، جلس وكانـت علامات ٱلسرور تعلو وجهه ٱلكريم وقال : (يا أولادي ٱلدراويش منذ ٱليوم يكـون ٱلسيد ٱلشيخ محمد شيخكم ، وهذا أمر أساتذتنا ، ومَن أطاعه فقد أطاعنـا ، ومَـن أحبه أحبنا ، ومَن خرج عن أمره فقد خرج عن أمرنا) ثم نظر ملتفتـاً إلى أضـرحة ٱلمشايخ قائلاً : (أنا أودعكم الآن وستكون هذه آخر زيارة لكم ، وهذا وكـيلكم

ٱلذي أوكلتموه – مشيراً إلى نجله ٱلشيخ محمد) .

كان هذا ٱلحدث إيذاناً بانتقال مشيخة ٱلطريقة من حضرة ٱلشيخ عبد ٱلكـــريم (قدس الله سره) إلى حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ، وتحقق ما أخبر به ٱلشيخ من أنها كانت آخر زيارة لآبائه وأجداده ، فقد ٱنتقل إلى ٱلرفيق ٱلأعلى في عام (1398 هـــ) ٱلموافق للعام (1978م) بعد زيارته ٱلأخيرة بفترة وجيزة ، وقد أرَّخ وفاتـــه ٱلـــشيخ محمّد عمر ٱلقره داغي (رحمه ٱللّٰه) رئيس علماء ٱلسليمانية في مَرْثيَّـــتِهِ بحقِّ ٱلـــشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) فقال :

وَفَـــاتُــكُمْ كَـــارِثَـــةٌ عـــبـــدَ ٱلكريـــمْ
تَأْرِيخُكُمْ (فـــي جنة ٱلخُلْـــدِ ُقيـــمْ)
190 665 453 90

وكانت وفاته (قدس الله سره) فاجعة لأحبابه وخلفائه ومريديه وٱلمسلمين جميعاً لما كان يمتلك من شخصيةٍ ٱستطاعت أن تمثّـــل ٱلشخصية ٱلقيادية ببعديها ٱلروحـــي وٱلمادي ، وقد تسارع ٱلعلماءُ وٱلشعراءُ وٱلأدباءُ إلى رثائهِ وٱلثناءِ على مَنْ خَلَفَهُ وحلّ محلَّهُ نجلهِ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) .

ونقتطفُ أبياتاً من قصيدةٍ في رثاء ٱلشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) قالها ٱلشيخ ٱلعـــــلامة عبد ٱلمجيد ٱلقـــطب (رحمه ٱللّٰه) وهو علمٌ من أعلام علماء ٱلعراق ورئيس علماء كركوك مادحاً خَلَفَهُ ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) :

غَابَ عَنْ أَنظارِ أربابِ ٱلوَفَـــا ... مُرْشِدٌ مِن أهلِ بيتِ ٱلمصطفى
سيِّـــدٌ عنْ سيدٍ عنْ سيـــــدٍ ... كُلُّهُمْ حَازُوا ٱلعُلا وٱلشَـــرَفَا

رَحَلَ ٱلشّيخُ وَقَــدْ أورثَــــنا لوعةً في قلـبنا وا أسَـــــفَا

رَحَلَ ٱلشّيــخُ نَعَــمْ لكــنَّهُ أسداً خَــلَّف ثُــمَّ ٱنْصَــرَفا

ذَهَبَ ٱلشّيخُ وأبْقَى بعـــــدهُ ذهبـــاً يَعْــرِفُهُ مَنْ عَــــرَفَا

لَمْ يَمُتْ شيخٌ تَجَلَّى بعــــدهُ مَنْ حَذَا حَــذْوَ أَبيهِ وَٱقْتَــفَى

وهكذا قام ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) مقام والده ٱلشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) بعد ٱنتقاله إلى جوار ربه ، وتولّى أمور ٱلطريقة وٱلإرشاد ، وبايعــه ٱلخلفاء وٱلدراويش أُستاذاً وأباً روحــياً سنة (1398هــ) ٱلموافـــق (1978م) .

وذاع صيت ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس ٱلله سره) وٱتسعت شـــهرته منـــذ ٱلبواكير ٱلأولى لمشيخته فأقبل ٱلناس عليه بمختلف فئاتهم ، وكان لــصدق ٱلــشيخ وإخلاصه مع ما ٱمتاز به من شخصيةٍ آسرةٍ جذّابةٍ وصبرٍ في ٱلدعوةِ إلى ٱللهِ ســبباً في ٱنجذاب أعدادٍ كبيرةٍ من طلاب ٱلعلوم ٱلدينية وغيرهم مــن ٱلأطبــاء وٱلمهندســين وٱلمتخصصين في شتّى أنواع ٱلعلوم إليه .

وٱنتشرت ٱلطريقة ٱلكسنـــزانية في جميع أنحاء ٱلعراق فلا تكاد تجد مدينةً أو قريةً إلّا وللشيخ محمد ٱلكسنزان تكيةٌ يقصدها ٱلمريدون وٱلأتباع بل جاوز ذلك ٱلبلدان ٱلأخرى كإيران وتركيا وٱلجمهوريات ٱلقوقازية وٱلهند وباكستان وٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكيـــة وبعض دول أوربا ممّا يدلّ على باع ٱلشيخ ٱلطويل في ٱلمعرفة وٱلتربية وٱلإرشاد .

وللشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس ٱلله سره) كرامات كثيرة وكشوفات واضحة ، ولكنّه كان ولا يزال يُعرِض عن ذكرها ولا يسمح لأحد بالتحدثِ عنــها ، ويحـــذّر ٱلمريدين من ٱلركون إلى ٱلكشف وٱلكرامة ، ويقرِّر أنَّ ٱلتـــصوف خـــصلتان همـــا ٱلاستقامة وٱلسكون وأن أعظم ٱلكرامات ٱلاستقامة على شرع ٱلله .

خلـواته :

كان حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنــزان (قدس ٱللّه سره) قد دخل عدة خلــوات في عهد والده ، وكذلك دخل خلوتين بعد توليه أمور ٱلطريقة وٱلمشيخة كانـــت الأولى في ٱلعشرين من شعبان سنة 1398 هـــ ٱلموافق 1978 م ، وقد صحبه عدد من ٱلدراويش وٱلخلفاء حيث جلس كل منهم في خلوته بعد أن تعلموا نظام ٱلخلوة وأورادها وآدابها من أستاذهم إثر محاضرة ألقاها ٱلشيخ قبل ٱلدخول إلى ٱلخلوة بنيَّـــة خالصة .

ودخل ٱلخلوة ٱلثانية سنة 1399 هـــ ٱلموافق 1979 م ، وصَحِبَه ضعف عدد ٱلدراويش الذين دخلوا معه ٱلخلوة ٱلأولى وطبّق عليهم نظام ٱلخلوة كاملاً وخرج كلّ واحدٍ منهم بنصيبه منها .

إنجازاته ٱلعلمية وٱلصوفية :

في مجال ٱلبحث وٱلتأليف وٱلإصدارات ٱلصوفية ، له ٱلعديد من ٱلمؤلفات، ٱلتي طبع منها :

1 – ٱلأنوار ٱلرحمانية في ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـــزانية .

2 – نشر كتاب : جلاء ٱلخاطر من كلام ٱلشيخ عبد ٱلقادر .

3 – كتاب ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـــزانية .

4 – موسوعة ٱلكسنـــزان فيما ٱصطلح عليه أهل ٱلتصوف وٱلعرفان.

وله عدد آخر من ٱلكتب وٱلرسائل تحت ٱلطبع منها :

- ألكرامات في طور جديد .
- ألكسنـــزان وٱلإنسان .
- ألتصوف .. قانون ٱلسماء ٱلأول .
- ألدعاء مخ ٱلعبادة .

- إطالة ٱلشعر في ٱلإسلام .
- ألسبحة في ٱلإسلام .
- ألخلوة في ٱلإسلام .
- ألتكايا بيوت الله .
- ألمولد ٱلنبوي وأهميته في ٱلعصر ٱلحديث .
- ألبيعة وٱلمعاهدة عند ٱلصوفية .

إنجازات علمية أُخرى :

إنَّ ٱلأسلوب ٱلحديث في ٱلتعليم يبدو أحيانًا نصوصًا مجردة من مضامينها ٱلأدبية ومدلولاتها ٱلخُلقية وإذا صار ٱلأمر كذلك يفقد ٱلعلم بذلك بهاءه وجماله وأثره وٱتساعه وإذا فُصل بين ٱلعلم وٱلأدب فمهما كان ٱلمخزون ٱلعلمي وٱلثراء ٱلمعرفي فإنك واجد ضعفًا شديدًا في أثر ٱلعلم على ٱلأخلاق وٱلسلوك وتزكية ٱلنفوس وصلاح ٱلقلوب ، ولا خير في علم ٱمرئ لم يُكسبه أدبًا ويُهذِّبه خُلقًا .

من هنا كانت علاقة ٱلأندماج وٱلتقارب بين ٱلعلم وٱلتصوف تكاد تكون ٱلحقيقة ٱلثابتة في ذات ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) وجوهر طريقته ٱلصوفية ، فلا تكاد ترى أدنى فصل أو تباعد بين ٱلبحث ٱلعلمي وٱلتجربة ٱلصوفية عنده ، وكأنه يمسك بيديه ٱلكريمتين كفتي ٱلميزان على حد ٱلأَعتدال فلا يرجِّح كفةً على أخرى .

ويبدو ذلك واضحاً بجلاء في كل ٱلإنجازات ٱلتي يقدمها حضرة ٱلشيخ أو يسعى لتقديمها ، ومنها :

- تأسيسه (كلية ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان ٱلجامعة) ، وٱلتي تضم إلى جانب قسم علوم ٱلشريعة وٱلتصوف وحوار ٱلأديان ، أقسام أُخرى في علوم ٱلإقتصاد

وٱلسياسة وٱلقانون وٱللغة وعلوم ٱلحاسبات وٱلرياضيات ٱلتطبيقية ، وهو بلا شك إنجاز يظهر مدى تفاعل ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) مع متطلبات ٱلعصر الذي يعيش فيه وتفاعله معه بالوسائل ٱلعصرية ٱلتي تناسبه .

وهذه ٱلكلية ٱلعلمية ٱلإنسانية هي بمثابة نواةٍ لجامعة كبرى يكون لها فروع في جميع دول ٱلعالم ٱلمتحضّر كما يأمل ٱلشيخ .

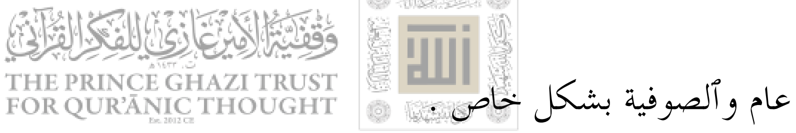
• إنجازه لتقويمٍ ٱسلاميّ رائدٍ ، نأمل أَن يُكتب له ٱلقبول وٱلأنتشار لما فيه من أطروحة علمية دقيقة في ٱلحسابات مستندة إلى علم ٱلفلك .

هذا التقويم هو (ٱلتقويم ٱلمحمدي) ، وهو تقويم يؤرخ للأحداث نسبة لولادة حضرة ٱلرسول ٱلأعظم ، وذلك كمظهر إِحتفائي دائمي بذكرى ٱلظهور ٱلمحمدي ٱلمجيد ، فيكون عملا يقدس ويعظم ويبجل حضرة ٱلرسول ٱلكريم ، إضافة إلى أنه يُقدّم فائدة كبيرة لدارسي ٱلتاريخ ٱلإسلامي ، لأنه يُؤرّخ ٱلأحداث نسبةً إلى ٱلبداية ٱلحقيقة للتأريخ ٱلإسلاميّ ، فهو بمثابة ٱلحلّ ٱلمثالي للعديد من ٱلمشاكل وٱلعقبات في دراسة هذا ٱلتأريخ [1] ، وان هذا ٱلتقويم ٱلمبارك لا يُلغي ٱلتقويم ٱلهجري بل هو ٱمتدادٌ لهُ .

• تأسيس (ٱلمجلس ٱلمركزي للطرق ٱلصوفية في ٱلعراق) في وقت بانت فيه بوادر تمزيق وحدة ٱلعراق ، وتشتيت كلمة ٱلمسلمين ، فجاء هذا ٱلمجلس ليوحِّد كلمة ٱلصوفية في ٱلعراق ، لغرض ٱلنهوض بواجبهم تُجاه ربّهم ودينهم ووطنهم على أكمل وجهٍ ، كما يهدف هذا ٱلمجلس إلى فتح قناةٍ للحوار وٱلتعارف مع بقية ٱلتجمعات وٱلمجالس وٱلطرق وأفراد ٱلصوفية في ٱلعالم لغرض ٱلقيام بنفس ٱلواجب تُجاه ٱلعالم ككل ، ولتوحيد ٱلكلمة ضد كلِّ مَن يحاول ٱلمساس بحرمة مقدسات ٱلمسلمين بشكل

---

1 – للإطلاع على منافع هذا التقويم في دراسة التاريخ الإسلامي بالإمكان الرجوع إلى الدراسة الخاصة بهذا الشأن .

عام وٱلصوفية بشكل خاص .

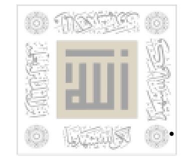
ويطمح ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) إلى أن يجد هذا ٱلمجلس صداه في قلوب وعقول ٱلصوفية في ٱلعالم ، ليجتمعوا على تكوين مجلس مركزي عالمي للتـــصوف ٱلإسلامي يكون له فروع رئيسية في كل دوله من دول ٱلعالم ، لينهضوا مجتمعين بمهـــامهم ٱلأساسية كدعاةٍ روحيِّين ، تُجاه ٱلمتغيرات ٱلعالمية على أكمل وجهٍ وبالصورة ٱللائقـــة ٱلمشرّفة لحمل راية ٱلخير وٱلسلام وٱلمحبة بين شعوب ٱلعالم أجمع .

• موقع ٱلتصوف ٱلإسلامي (www.islamic-sufism.com) ، وهو نافذة عصرية يطلّ من خلالها توجه ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان على ٱلعالم بأسلوب صـــوفي معاصر غير مسبوق ، ليعكس ٱلجوانب ٱلمشرقة وٱلأنفتاحية للتصوف ٱلإسلامي علـــى ٱلآخرين .

فقد تم في هذا ٱلموقع مراعاة ٱلأخذ بأحدث ٱلبرامج ٱلإلكـــــترونية ، وأحدث ٱلتصميمات ٱلجميلة ، مع بقاء عنصر ٱلأصـــالة حاضراً ، هذا من ٱلناحية ٱلفنية وأَمّا من ٱلناحية ٱلفكرية ، فقد أَخذ ٱلموقع طابع ٱلشمولية ولغة ٱلحوار ٱلمتمدن كخطـــوة أساسية في هذا ٱلعصر لردم ٱلهوة ، وتقريب ٱلمسافة مع ٱلآخر .

وقد فتح ٱلموقع أبوابه لجميع ٱلمشاركات وإبداء ٱلآراء وٱلتعـــارف بـــين جميـــع ٱلصوفية على ٱختلاف طرقهم وتنوع مشاربهم ، كما فتح أبوابه لجميـــع ٱلمفكّـــرين ٱلإسلاميِّين ٱلذين يهدفون إلى ٱلارتقاء بالفكر ٱلإسلامي إلى ٱلمستوى ٱلحضاري ٱلذي ينبغي له أَن يكون فيه ، بالنشر وٱلتعليق وتلاقح ٱلأفكار وٱلرُّؤى .

ومن ٱلمؤمَّل أَن يفتح ٱلموقع بابه أَمام ٱللغات ٱلرئيسة في ٱلعـــالم ، وأَن يـــستقبل ٱلبحوث وٱلدراسات وٱلمقالات ٱلتي تعمق وتوطد ٱلعلاقة ٱلفكرية وٱلثقافية وٱلعلميـــة




بين ٱلمسلمين وغيرهم .

• موقع ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنزانيَّة (**www.kasnazan.com**) ، وهو موقع متخصِّص بنهج وأُسلوب ومبادئ ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنزانيَّة ، وهو بمثابة ٱللسان ٱلناطق عنها للعالم ، وٱلصورة ٱلمعبّرة عن جوهرها ومضمونها .

• تأسيس (ٱلمركز ٱلعالميّ للتّصوّف وٱلدِّراسات ٱلرّوحية) وهو مركز أَسَّسَهُ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنزان في عام (1415 هـ) ٱلموافق (1994 م) ، ويتخصَّصُ هذا ٱلمركز في ٱلبحث في حالات ٱلشّفاء ٱلفوري ٱلخاصة بخوارق وكرامات ٱلطريقة ٱلتي تُثْبِتُ وجودَ ٱلذَّات ٱلإلهية وٱلمقارنة بين هذهِ ٱلخوارق من جهةٍ وبين ٱلظواهر ٱلباراسايكولوجية من جهةٍ أُخرى وإثبات فشل ٱلأخيرة أمام خوارق ٱلطريقة ، إضافة إلى دراسات أُخرى يتم بحثها في هذا ٱلمركز على أيدي باحثين متخصصين .



المصادر

- القرآن الكريم .
- إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - دار البيان الحديثة - ط1- 2004م .
- الأحلام - توفيق الطويل .
- الأحلام بين العلم والعقيدة - د. علي الوردي - شريعت ، قم .
- تجربتي مع الزمن - مستر دن .
- التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية - الشيخ ابن عربي - دار المصرية للطباعة .
- تفسير الأحلام الكبير لأبن سيرين - محمد رضا عبد الأمير الأنصاري - دار الكتاب العربي - مكتبة الصدر .
- تفسير الرؤيا والأحلام - حسن الأدريساوي .
- التعريفات - الشريف الجرجاني - تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي - بيروت - ط1 - 1405هـ .
- تعطير الأنام في تعبير المنام - الشيخ عبد الغني النابلسي .
- التنبؤ بالغيب - توفيق الطويل .
- الجامع الصحيح المختصر - الإمام البخاري - تحقيق د. مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ط 3- 1987م .
- الجامع الصحيح سنن الترمذي - الإمام الترمذي - تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

● الرسالة القشيرية - الإمام القشيري - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا - 2002 م .

● رياض الصالحين - الإمام النووي - تحقيق عبد الله احمد - دار القلم - بيروت.

● سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج اليه الأبرار - الشيخ عبد القادر الكيلاني - تحقيق احمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - 2005م .

● صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي - بيروت- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

● الطريقة العلية القادرية الكسنزانية - السيد الشيخ محمد الكسنزان - ط 1.

● الفتح الرباني والفيض الرحماني - الشيخ عبد القادر الكيلاني - دار الكتاب العربي - بيروت - 1980م .

● الفتوحات المكية - الشيخ ابن عربي - دار أحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط1 .

● الفروق - القرافي .

● فصوص الحكم - الشيخ ابن عربي - بقلم أبو العلا عفيفي - مكتبة دار الثقافة - نينوى - ط2 - 1989 .

● فصول من كتاب العيون والمحاسن - الشيخ المفيد .

● فلسفة التأويل - نصر حامد أبو زيد - المركز الثقافي العربي - ط 4 - 1994 .

● فيض القدير شرح الجامع الصغير- عبد الرؤف المناوي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر- ط 1- 1356هـ .

- قلائد الجواهر - الشيخ التادفي الحنبلي - مكتبة دار إحياء التراث العربي - 1984 .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - العجلوني - تحقيق أحمد القلاش - مؤسسة الرسالة - بيروت - 1405 هـ - ط4 .
- كيمياء السعادة - الإمام الغزالي - تحقيق أحمد شوحان - سوريا - مكتبة التراث - ط1- 1993م .
- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر- بيروت - ط 1 .
- مجلة المورد - المجلد العشرون - العدد الثاني .
- مجمع البيان - الطبرسي - دار الفكر - بيروت - 1954 .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - مؤسسة قرطبة – مصر .
- المعجم العربي الأساسي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون - لاروس - 1989 .
- المقدمة - ابن خلدون - مكتبة المثنى - بغداد .
- المنجد في اللغة والأعلام - المكتبة الشرقية - بيروت - ط29.
- الوهم - أبو مدين الشافعي .

- Dalbiez,op.cit.i
- Freud Bascic Wirtings.



الفهرس



هذا الكتاب

دراسة حول آراء حضرة السيد الشيخ

محمد الكسنزان الحسيني في علم الأحلام

سلسلة إصدارات الطريقة الكسنزانية

تهدف هذه السلسلة إلى الكشف عن حقائق الطريقة وأسسها الشرعية وعلاقتها بالواقع المعاصر وإمكانية تحقيقها للتوازن بين الروح والمادة ، الأمر الذي يعد الحلقة المفقودة عند الكثير من المسلمين وغير المسلمين .

وهي تعتمد بشكل أساسي بعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على آراء حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس الله سره) رئيس الطريقة الحاضر ، والتي يلقيها في حلقات درسه ومجالس وعظه وأرشاده المستمر أينما حلّ وارتحل .